

## حاجة البشر إلى الدين

بادئ ذي بدء، لابد أن يعرف الإنسان لم خلق في هذه الحياة؟ حتى يتضح له إن كان في حاجة إلى الإسلام أم لا؟

لقد بين الله تعالى—في كتابه العزيز—الهدف من خلق الإنسان حيث قال جل شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۗ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾<sup>(١)</sup> فلم يخلق الله تعالى الثقلين: الإنس والجن إلا ليقروا بربوبيته ووحدانيتها، ويعبدوه وحده لا شريك له، فهو لا يريد من خلقهم أن يساعده في رزق ولو كان لأنفسهم فهو وحده الرزاق والمعطى، ولا يريد منهم أن يطعموه أو يطعموا خلقه فهو وحده الغنى الحميد.

قال البيضاوى: والمراد أن يبين أن شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم، فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم، فهو لا يريد أن يستعين بهم استعانة السادة بعبيدهم، فعليهم أن يشتغلوا بما خلقهم الله تعالى من أجله وهو عبادته وحده.

فهو سبحانه الرزاق ذو القوة المتين، وفي الحديث القدسي، يقول رب العزة: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد ففرك»<sup>(٢)</sup>

والإنسان في حياته الدنيا تتجاذبه قوتان: القوة الأولى: تدفعه إلى الشر، بما فيه من نزعات ونزوات وغرائز وشهوات، وهذه القوة قد يصيبها الشطط فإذا به يتحول إلى طاغية يسفك الدماء أو ينتهك الأعراض.. إنها القوة الحيوانية المادية.

وأما القوة الثانية: فتدفعه إلى الخير والرشد بما خلق به الإنسان من عقل وفطرة خير كامنة فيه فهو يعرف الهدى والحق والعدل والمساواة، والأخذ بيد المحتاجين، وإغاثة الملهوفين.

(١) سورة الذاريات ٥٦ - ٥٨

(٢) رواه أحمد والترمذي

والإنسان حيال هاتين القوتين لا يستطيع وحده أن يقيم التوازن بين متطلبات الروح والعقل، وبين متطلبات البدن والغرائز.

إنه بحاجة إلى وحى معصوم يدلّه ويرشده ويبين له الحق ويكبح جماحه وينظم غرائزه، لأن مغريات الشهوة وزخرف الحياة الدنيا وهواجس النفس والشيطان كل ذلك يتغلب عليه، فإذا به يميل إلى جانب الشر والشهوة ويعب من المعاصي ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾<sup>(١)</sup>.

لا منقذ للإنسان إلا الوحي المعصوم، والإيمان والعمل الصالح، وإلا فالخسران سيحيط به من كل جانب ﴿وَالْعَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(٢)</sup>. ولو ترك الإنسان لهاتين القوتين تتجاذبانهُ لتغلب جانب الشر والنفس الأمارة بالسوء، على جانب الخير والعقل ولما تحققت حكمة الله عزوجل من خلق الإنسان التي حددها في الآية السابقة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ تلك الحكمة التي بها جعله الله تعالى خليفة في الأرض وعلمه ما لا تعلمه الملائكة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولا يمكن للعقل وحده أن يهتدى إلى الحق والخير وذلك لأن العقول البشرية ليست سواء وإنما تتفاوت من إنسان لآخر فبينما يستحسن إنسان شيئاً قد لا يستحسنه غيره، وبينما يأخذ إنسان بنظرية يرى فيها خير بشرية لا يأخذ بها غيره وقد يرى فيها ما يخالف ذلك وتلك طبيعة العقول البشرية، التي خلقت عليها فهي محدودة الإدراك والمعرفة. هذا إلى جانب أن بعض الأهواء قد تؤثر في رؤية العقل البشري، كما قد يؤثر فيه تعصبه لأهله وذوى رحمه.

وإذا اقتنع أصحاب فكرة ما أو نظرية ما بما أداهم إليه اجتهادهم فإن هذا الاقتناع لا يلزم أن يصل إلى قلوب الغير أو يلزمهم به لأنه لم ينبع منهم، وعندما يمكنهم أن يقلتوا من رقابة القانون أفلتوا. لهذا كان العقل البشري في أمس الحاجة إلى من يقوده إلى الخير

(١) سورة يوسف ٥٣.

(٢) أول سورة العصر.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

المحض والحق المحض وليس ذلك إلا في هداية السماء وإلا في الوحي المعصوم: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن أجل هذا لم يخل الله تعالى أمة من الأمم، ولا زمانا من الأزمنة دون أن يرسل إليهم رسولا.

□□□

---

(١) سورة طه ١٢٣، ١٢٤.

## مصادر التشريع الإسلامى

### المصدر الأول: الكتاب

الكتاب أو القرآن الكريم: هو كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على سيدنا محمد ﷺ بلسان عربى مبين المنقول إلينا بين دفتى المصحف متواترا، تبيانا لما يكون به صلاح العباد دينا ودنيا وأخرى المعجز بأقصر سورة فيه المتحدى به. والقرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامى، بل هو عمدة التشريع وأصل الأدلة. **حجية القرآن:**

والقرآن حجة على كل مسلم ومسلمة، وإن حجيته وضرورة العمل بما يهدى إليه معلوم لنا بالضرورة وأدلة وجوبه قاطعة، قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال - ﷺ «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى» وانعقد الإجماع على وجوب اتباعه وأنه حجة.

وقد ثبتت حجيته بإعجازه، فليس فى طاقة إنس ولا جن أن يأتى بمثله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وكما تحداهم رسوله ﷺ فى مكة بالقرآن الكريم تحداهم بعد أن هاجر مؤكدا أنهم عاجزون عن أن يأتوا بمثله ولا بعشر سور مثله ولا بسورة من مثله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأنعام ١٥٥.

(٢) سورة الإسراء ٨٨.

(٣) سورة البقرة ٢٣ ، ٢٤.

ويتضح إعجازه فى بلاغة أساليبه وفصاحة ألفاظه ودقة تراكيبه وإخباره بالغيب مستقبله وماضيه وبقوة وعظمة معانيه ، وبما احتوى عليه من هداية إلى أقوم السبل ، تصلح كل زمان ومكان وقد دل بهذا كله على أنه منزل من عند رب العالمين ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup> .

وقال سبحانه : ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمَبْطُوتِ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .

والقرآن الكريم قطعى الثبوت ، نقل بالتواتر جيلا بعد جيل ، ونقله فى كل زمان جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ، والتواتر من طرق اليقين .

ودلالة القرآن بأساليبه وألفاظه قطعية كدلالة كل عدد على مدلوله الخاص فى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ مِائَتًا وَهَرَمْنَيْنِ جَلْدَةً﴾<sup>(٣)</sup> . وقد تكون ظنية كدلالة الأقرء على الحيض أو على الطهر فى قوله تعالى : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَئِنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾<sup>(٤)</sup> .

□□□

(١) سورة النساء ٨٢ .

(٢) سورة العنكبوت ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) سورة النور ٤ .

(٤) سورة البقرة ٢٢٨ .

## المصدر الثاني: السنة

تعرف السنة عند أهل الحديث: بأنها أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته وسيره ومغازيه وبعض أخباره وبهذا يتبين لنا أن السنة النبوية الشريفة أنواع كثيرة:

١- فمنها ما كان قولاً وهو أكثر أنواعها، ومثاله قول الرسول ﷺ: ((يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم)).

٢- ومنها السنة الفعلية وهي أفعاله صلى الله عليه وسلم التي رواها الصحابة عنه، مثل أدائه الصلوات الخمس بأركانها وسننها وهيئاتها وأدائه مناسك الحج والصوم والزكاة وغير ذلك من أعماله الشريفة ﷺ، ومن أمثلة السنة الفعلية ما أخبر به الصحابة وأمهات المؤمنين من أعمال الرسول ﷺ وأحواله، مثال ذلك ما روى عن عطاء بن يسار أن رجلاً قبل امرأة وهو صائم فوجد من ذلك وجداً شديداً فأرسل امرأته تسأل عن ذلك فدخلت على أم سلمة أم المؤمنين فأخبرتها فقالت أم سلمة: إن رسول الله يقبل وهو صائم، فرجعت المرأة إلى زوجها فأخبرته، فزاده ذلك شراً، وقال: لسنا مثل رسول الله يحل الله لرسوله ما شاء فرجعت المرأة إلى أم سلمة فوجدت رسول الله ﷺ فقال: ما بال هذه المرأة؟ فأخبرته أم سلمة، فقال: ألا أخبرتها أنى أفعل ذلك؟ فقالت أم سلمة قد أخبرتها فذهبت إلى زوجها فأخبرته فزاده شراً وقال: لسنا مثل رسول الله، يحل الله لرسوله ما شاء، فغضب رسول الله ثم قال: ((والله إنى لأتقاكم لله ولأعلمكم بحدوده))<sup>(١)</sup>.

٣- القسم الثالث: السنة التقريرية وهي ما أقره الرسول ﷺ مما رآه بعض الصحابة فعلاً كان أو قولاً بأن يقع ذلك في حضرته فلا ينكره بأن يسكت عنه أو يوافق عليه مظهر استحسانه وتأييده فيعد ذلك إقراراً من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضى الله عنه أنه

(١) الموطأ ص ١٢٤ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وقال الزرقاني في شرح الموطأ ج ٢ ص ٩٦: وصله عبد الرزاق بإسناد صحيح عن عطاء عن رجل من الأنصار ورواه الشيخان: فتح الباري ج ٤ ص ١٣١ ومسلم في صحيحه ج ١ ص ٣٠ من حديث عمر بن سلمة، وأخرجه الإمام أحمد في المسند بنحوه ج ٤ ص ٤٣٤ وفي مجمع الزوائد ج ٣ ص ١٦٦ قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح وأخرجه الدرسي ج ١ ص ٢٤ بنحوه تحقيق السيد عبد الله يمانى.

خرج رجلان فى سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة فتيمما صعيدا طيبا فصليا ثم وجدا الماء فى الوقت فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر ثم أتيا الرسول ﷺ فذكر ذلك فقال للذى لم يعد: ((أصببت السنة)) وقال للآخر: لك الأجر مرتين<sup>(١)</sup>.

### النسبة بين السنة، والحديث، والخبر، والحديث القدسى

سبق بيان أن المراد بالسنة هنا ما أراده المحدثون وهى مرادفة للحديث عند جمهورهم. وأما الخبر: فهو عند علماء هذا الفن مرادف للحديث فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف وعلى المقطوع وقيل: الحديث ما جاء عن النبى ﷺ، والخبر ما جاء عن غيره، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة محدث وبالتواريخ ونحوها، إخبارى<sup>(٢)</sup> وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق فكل حديث خبر ولا عكس ( وقد يسمى المحدثون المرفوع، والموقوف من الأخبار أثرا إلا أن فقهاء خراسان يسمون الموقوف بالأثر والمرفوع بالخبر<sup>(٣)</sup>).

وأما الحديث القدسى فهو كل قول أضافه الرسول ﷺ إلى الله عزوجل ويسمى حديثا لأن الرسول ﷺ يحكيه ويرويه عن ربه كما تروى الأحاديث ونسبته إلى القدس بمعنى الطهارة والتنزيه ونسب إلى الله لأنه صدر عنه تعالى.

### وللعلماء فى الأحاديث القدسية رأيان:

الرأى الأول: أنها من كلام الله تعالى وليس للنبى ﷺ إلا حكايتها عن ربه سبحانه وذلك لأنها أضيفت إلى الله فقيل عنها قدسية وإلهية وأنها اشتملت على ضمائر التكلم الخاصة به تعالى، كقوله: (يا عبادى)، وأنها تروى عن الله تعالى متجاوزا بها النبى ﷺ فتارة يقول الراوى: (قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه) وتارة يقول: (قال تعالى فيما رواه عنه رسول الله ﷺ) والمعنى فيهما واحد.

والرأى الثانى: (أنها من قوله ﷺ) ولفظه كالأحاديث النبوية وممن قال ذلك أبو البقاء وعبارته: (أن القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى، وأما الحديث القدسى

(١) رواه أبو داود عن أبى سعيد الخدرى ح ١-٩٣ بتحقيق الأستاذ محبى الدين ٢ وسبيل السلام ح ١-٩٧ النسائى.

(٢) تدريب الراوى ص ٦.

(٣) المرجع السابق.

فهو ما كان لفظه من عند الرسول ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام) واختار الطيبي<sup>(١)</sup> هذا الرأي أيضاً، وحكمة إضافة الأحاديث القدسية إلى الله على هذا الرأي زيادة الاهتمام بها، والتوجيه إلى ما احتوته من آداب ومعان ومواظ ومن بيان لعظمة الله تعالى وإظهار رحمته.

وأرجح الرأي الثانى: وهو أنها من قوله ﷺ ولفظه إذ لم ينزل باللفظ من قبل الله تعالى إلا القرآن الكريم لتمييزه عن بقية أنواع الوحي بأنه معجز من أوجه كثيرة: منها إعجازه اللفظى والبيانى، فلا تصح روايته بالمعنى لأنه معجزة خالدة على مر الزمان محفوظ من التبديل والتغيير قال تعالى: ﴿ قُلْ لِيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما رواية الأحاديث القدسية عن الله تعالى وإضافتها إليه واشتمالها على ضمائر التكلم الخاصة به سبحانه فهذا على معنى أن الله تعالى أمر جبريل عليه السلام أن يقول للرسول ﷺ: افعل كذا، وأمر بكذا.. فيبلغ الرسول ﷺ ذلك بألفاظ من عنده ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾<sup>(٣)</sup>.

### الفرق بين الأحاديث القدسية والقرآن:

١- أن الأحاديث القدسية ما كان لفظها من عند النبي ﷺ على رأى البعض ومعناها من عند الله بالإلهام أو بالمنام بوحى جلى أولاً وأما القرآن فهو ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى بمعنى: أن ينزل به جبريل عليه السلام بلفظه من عند الله سبحانه فى البيقظة وليس فى المنام ولا بالإلهام.

٢- الأحاديث القدسية تصح روايتها بالمعنى، أما القرآن فتحرم قراءته بالمعنى.

٣- الأحاديث القدسية لا يتعبد بقراءتها أما القرآن فيتعبد بقراءته ويتعين فى الصلاة ولا كذلك الأحاديث القدسية.

٤- أن القرآن الكريم معجزة خالدة متواتر اللفظ فى كلماته وحروفه وأساليبه أما الأحاديث القدسية فليس لها هذا التواتر وليست معجزة.

(١) قواعد التحديث ص ٦٦.

(٢) سورة الإسراء ٨٨.

(٣) سورة النجم ٣ - ٥.

هـ- أن القرآن يحرم على المحدث مسه ، وعلى الجنب تلاوته ومسّه بخلاف الأحاديث  
القدسية.

### الفرق بين الحديث القدسي والنبوي:

هو أن الحديث القدسي مقطوع بنزول معناه من عند الله تعالى لما ورد فيه من النص  
الشرعي على نسبته إلى الله بقول الرسول ﷺ: قال الله تعالى كذا.. فلذا سمي قدسيا أما  
الحديث النبوي فلم يرد فيه مثل هذا النص لأن منه ما هو (توقيفي) مستنبط بالاجتهاد  
والرأى من كلام الله ومنه ما هو (توقيفي) جاء به الوحي إلى الرسول ﷺ فبينه للناس  
بكلامه وهذا القسم وإن كان مرجعه إلى الله تعالى الملهم والمعلم إلا أنه لما كان من قول الرسول  
ﷺ ووضعه كان حريا أن ينسب إليه ويطلق على القسمين حديثا نبويا وقوفا بالتسمية عند  
الحد المقطوع به<sup>(١)</sup>.



---

(١) النبا العظيم للدكتور/ محمد عبد الله دار طبع مطبعة للسعادة ص ١٠١.

## منزلة السنة فى الدين

السنة هى الأصل الثانى من أصول الإسلام، أجمع فقهاء المسلمين قديما وحديثا من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا إلا من شذ من بعض الطوائف على الاحتجاج بها واعتبارها المصدر الثانى للدين بعد القرآن الكريم فيجب اتباعها وتحريم مخالفتها وقد تضافرت الأدلة القطعية على ذلك فأوجب الله سبحانه على الناس طاعة رسوله ﷺ وبين أنه عليه الصلاة والسلام هو المبين لما أنزل من القرآن، وذلك بعد أن عصمه من الخطأ والهوى فى كل أمر من الأمور ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَيْهِمْ شَدِيدُ الْفَوْتَىٰ ﴾<sup>(١)</sup> كما عصمه من الناس حين أمره بتبليغ ما أنزل إليه قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدَى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

فهو إذا قد مهد لرسوله طريق الدعوة وذلك له مهمة تبليغها فيبين سبحانه وتعالى للناس ما يأتى:

أولا: وجوب طاعة الرسول ﷺ.

ثانيا: أن الرسول ﷺ هو الذى يبين للناس كتاب ربهم سبحانه وتعالى. وهذان الأمران متلازمان فى إثبات حجية السنة لأن الله تعالى أوجب طاعة رسوله عليه الصلاة والسلام لأنه مبين للناس ما أنزل إليهم، قال الشاطبى: (فإذا عمل المكلف على وفق البيان أطاع الله فيما أراد بكلامه وأطاع رسوله فى مقتضى بيانه ولو عمل على مخالفة البيان عصى الله تعالى فى عمله على مخالفة البيان إذ صار عمله على خلاف ما أراد بكلامه وعصى رسوله فى مقتضى بيانه)<sup>(٣)</sup>.

وسأتناول الحديث عن هذين الأمرين وهما وجوب طاعة الرسول ﷺ وبيان أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذى يبين للناس ما نزل إليهم.

(١) سورة النجم ٣ - ٥.

(٢) المائدة ٦٧.

(٣) الموافقات (٤ / ١٩).

## أولاً: وجوب طاعة الرسول ﷺ:

فرض الله سبحانه وتعالى طاعة رسول الله ﷺ وورد الأمر بها في القرآن الكريم على وجوه تختلف باختلاف أحوال المخاطبين ومشاربهم ونياتهم، فمنهم اليهودى الذى يحتاج إلى كثرة الأدلة والمنافق الذى يحتاج إلى أسلوب التهديد، والمؤمن الذى يقبل الأمر ويعرف هداية الله من أقرب طريق وقد سلكت آيات القرآن الكريم فى بيان ذلك مسلكاً مناسباً ونهجت منها حكيماً:

١- فقد دلت مرة على وجوب طاعة الرسول بالأمر بالإيمان بالرسول وهذا يستلزم وجوب طاعة الرسول ﷺ، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالأمر بالإيمان بالرسول مع الإيمان بالله لا يكون إلا إذا كان مع الإيمان تصديق لما يبلغه الرسول عن الله وإذعان وطاعة لهديهم وعلى هذا فرسولنا صلوات الله وسلامه عليه يجب الإيمان به للأمر. الإيمان بالرسول وطاعته واجبة كطاعتهم التى استلزمها الأمر بالإيمان بهم.

٢- ودلت الآيات أيضاً على وجوب طاعة الرسول ﷺ باقتران الأمر بالإيمان به مع الأمر بالإيمان بالله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(٣)</sup> وقال الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النساء ١٧١.

(٢) سورة آل عمران ١٧٩.

(٣) سورة النساء ١٣٦.

(٤) سورة التغابن ٨.

وقد أظهر الله تعالى في هذه الآيات وغيرها مكانة نبيه ﷺ، فنص على الإيمان به ولم يكتف بالأمر العام السابق رغم دخوله فيه، وذلك لأن رسالته خاتمة وبعثته عامة فاقترضت الحكمة أن يخص بمزيد عناية، ويفهم من ذلك الأمر بطاعته قال الإمام الشافعي رضى الله عنه: (وضع الله رسوله من دينه وفرضه وكتابه الموضوع الذى أبان جل ثناؤه أنه جعله علما لدينه لما افترض من طاعته وحرمة من معصيته وأبان من فضيلته بما قرن من الإيمان برسوله مع الإيمان به فقال تبارك وتعالى: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ أَنْتَهُوَ خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾<sup>(٢)</sup> .

فجعل كمال ابتداء الإيمان الذى ما سواه تبع له الإيمان بالله ثم برسوله<sup>(٣)</sup> .

٣- كذلك دلت الآيات على وجوب طاعة الرسول ﷺ بإيجاب الله تعالى طاعة الرسل قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup> فطاعة الرسل إذا هى الهدف من إرسالهم ورسولنا ﷺ كواحد من الرسل داخل فى مضمون الحكم العام فينطبق عليه الحكم بوجوب طاعته لا سيما والرسل قبله كانت شرائعهم خاصة بطائفة معينة أما رسولنا عليه الصلاة والسلام فشريعته عامة وخاتمة لذا كانت طاعته أكد وألزم.

٤- اقتران الأمر بطاعة الرسول بالأمر بطاعة الله قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة النساء ١٧١ .

(٢) سورة النور ٦٢ .

(٣) الرسالة للإمام الشافعي ص ٧٣

(٤) سورة النساء ٦٤ .

(٥) سورة آل عمران ٣٢ .

(٦) سورة النساء ٥٩ .

والناظر إلى الآيات الواردة في طاعة الرسول ﷺ يرى أن منها ما جاء الأمر بطاعة الله مقروناً بالأمر بطاعة الرسول بالعطف بالواو كآلية الأولى حيث يفيد ذلك مطلق الاشتراك والجمع بينهما، أو بطريق العطف بها مع إعادة العامل حيث يفيد ذلك تأكيد عموم الطاعة في كل ما يصدر عن الرسول ﷺ ومنها ما جاء بتكرار العامل في شيئين مع العطف على الأخير بدون تكرار العامل كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ بدون تكرار العامل في عطف أولى الأمر.

وهذا يدل على أن أولى الأمر ليس لهم طاعة مستقلة، وليس لهم تشريع خاص يصدر عنهم (وإنما يطاعون فيما شأنه أن يتلوه ويباشروه في إطار من الدين الذي شرعه الله قرآناً كان أو سنة)<sup>(١)</sup> فطاعة الرسول إذا واجبة في كل ما أتى به سواء كان في الكتاب الكريم أو ليس فيه.

٥- أمر الله بطاعة الرسول على الإنفراد قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٤)</sup> ففي هذه الآيات نص صريح على وجوب طاعة الرسول والتسليم لحكمه واتباعه وهذه الطاعة في حال حياته وبعد وفاته ففي حال حياته كان الصحابة يتلقون أحكام الشرع من القرآن الذي أخذوه عن رسولهم ﷺ حيث كان يبين لهم ما أنزل إليهم، وحيث كان كذلك يبين لهم كثيراً من الأحكام حين تقع منهم الحوادث التي لم ينص عليها في القرآن فهو إذا كان يطبق لهم الأحكام من حلال أو حرام مما كان مصدره القرآن أو الوحي الذي يوحيه الله له ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٥)</sup> وقد حث الله على

(١) السنة النبوية ومكانتها في التشريع ص (٥٨)

(٢) سورة النساء ٦٥.

(٣) سورة النور ٥٦.

(٤) سورة الحشر ٧.

(٥) سورة الأعراف ١٥٧.

الاستجابة لما يدعو له الرسول ﷺ فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾<sup>(١)</sup> ولم يبيح الله للمؤمن ولا مؤمنة مخالفة حكم الرسول أو أمره قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾<sup>(٢)</sup> وقد كان المسلمون ملتزمين حدود أمره ونهيه ومتبعين له في عبادتهم ومعاملاتهم وقد بلغ من طاعتهم للرسول واقتدائهم به أنهم كانوا يفعلون ما يفعل ويتركون ما يترك ولم يجز واحد منهم لنفسه مراجعة الرسول إلا إذا كان هناك أمر غريب عن عقولهم فيناقشونه ليعرفوا الحكمة فيه فقط كما لم يجز واحد منهم مراجعته في أمر (إلا إذا كان فعله أو قوله اجتهادا منه في أمر دنيوي كما في غزوة بدر حين راجعه الحباب بن المنذر في مكان النزول)<sup>(٣)</sup> ومثل هذا إنما حدث تطبيقا لمبدأ الشورى في الإسلام.

وإذا كان الحال هكذا في حياة الرسول ﷺ، فإنه أيضا تجب طاعته واتباع سنته بعد وفاته لأنه صلوات الله وسلامه عليه انتقل إلى الرفيق الأعلى بعد أن اطمأن تماما على أنه أرسى معالم الدين وأدى الأمانة الإلهية على منهاج الحق ووصى المسلمين أن يطيعوه ويتبعوه بعد وفاته تمسكا بالكتاب والسنة وسيرا على هديهما كما قال ﷺ: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي)<sup>(٤)</sup> وكما وجب على الصحابة بنص القرآن اتباع الرسول وطاعته في حياته وبعد مماته كما في الحديث السابق وجب على من بعدهم من المسلمين اتباع سنته بعد وفاته لأن النصوص التي أوجبت طاعته عامة لم تقيد ذلك بزمن حياته ولا بصحابته دون غيرهم ولأن العلة جامعة بينهم وبين من بعدهم وهي أنهم أتباع لرسول أمر الله باتباعه وطاعته<sup>(٥)</sup> لهذا كله تلقى الصحابة السنة النبوية وبلغوها إلى من بعدهم.

(١) سورة الأنفال ٢٤.

(٢) سورة الأحزاب ٣٦.

(٣) السنة ومكانتها في التشريع ص ٦٦.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک وفي جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٨٠ والموطأ شرح الزرقانی، والترغيب

والترهيب.

(٥) السنة ومكانتها في التشريع ص ٦٧.

## ثانياً: منزلة السنة من القرآن وبيانها له:

تبين من البحث السابق أن طاعة الرسول ﷺ واجبة على المسلمين وأنهم تقبلوا منه السنة كما تقبلوا القرآن مستجيبين لله الذي أمرهم باتباع النبي وطاعته وذلك لأن الرسول ﷺ مهمته هي التبليغ وبيان ما في القرآن من أحكام وقواعد وغير ذلك فرسالته ليست قاصرة على التبليغ وإنما لا بد مع التبليغ من البيان وهو الأمر الثاني في إثبات حجية السنة.

فالقرآن الكريم جاء بالأصول العامة ولم يتعرض للتفاصيل والجزئيات ولم يفرع عليها إلا بالقدر الذي يتفق مع تلك الأصول ويكون ثابتاً بثبوتها لا يعتريه تغيير أو تطور باختلاف الأعراف والبيئات ومرور الأزمان لأنه الكتاب الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اشتمل على العقائد والشرائع وعلى الآداب والأخلاق فكان تبياناً لكل شيء وجاءت السنة الشريفة توافق الكتاب الكريم وتتعرض للتفصيلات والجزئيات: ففسرت مبهمة وفصلت مجمله وقيدت مطلقه وخصصت عامه وشرحت أحكامه كما أتت السنة كذلك بأحكام لم يرد في القرآن نص عليها وجاءت بهذا متممة ومطبقة لما في القرآن الكريم فكانت مرتبتها بعد القرآن.

(وأيضاً فإن السنة إما أن تكون بياناً للكتاب أو زيادة عليه، فإن كانت بياناً فهي في الاعتبار بالمرتبة الثانية عن المبين، فإن النص الأصلي أساس والتفسير بناء عليه وإن كانت زيادة فهي غير معتبرة إلا بعد أن لا توجد في الكتاب وذلك دليل على تقدم اعتبار الكتاب<sup>(١)</sup>).

وكل ما جاء في السنة النبوية على لسان الرسول ﷺ إنما يتبع فيه ما يوحى إليه قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن آتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾<sup>(٢)</sup> ولهذا جعل الله تعالى طاعة رسوله طاعة له وأوجب على المسلمين اتباع بيانها فيما يأمر وينهى قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾<sup>(٣)</sup> وقال:

(١) السنة ومكانتها في التشريع ص ٤٢٤.

(٢) سورة الأنعام ٥٠.

(٣) سورة النساء ٨٠.

﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(١)</sup> إذا فالرسول صلوات الله وسلامه عليه حين يبين للناس ما نزل إليهم لا يصدر في بيانه من تلقاء نفسه وإنما يتبع ما يوحى إليه وقد امتن الله تعالى على رسوله بأن أنزل عليه الكتاب ليشرح ما جاء فيه ويظهر المراد منه فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وروى المقدم بن معد يكره قال: حرم النبي ﷺ أشياء يوم خيبر منها الحمار الأهلي وغيره فقال رسول الله ﷺ: يوشك الرجل منكم على أريكة يحدث بحديثي فيقول بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرماناه وأن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله<sup>(٣)</sup>.

### وينقسم بيان السنة إلى أقسام:

**الأول:** بيان التقرير وهو أن تكون السنة موافقة لما جاء به القرآن ومؤكدة له ومن ذلك: ما روى عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بنى الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة والحج، وصوم رمضان)<sup>(٤)</sup> فإنه يوافق قوله تعالى: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَعَاتُوا الزَّكَاةَ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾<sup>(٦)</sup> وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾<sup>(٧)</sup>.

**الثاني:** بيان التفسير لما جاء في القرآن، وهذا القسم أغلب الأقسام وأكثرها ورودا فمنه بيان المجمع كالأحاديث التي بينت العبادات وكيفيةاتها كفريضة الصلاة مثلا فقد فرضها

(١) سورة الحشر ٧.

(٢) سورة النحل ٤٤.

(٣) رواه الترمذى ١١١: ٢ وابن ماجه ٥: ١ والدارمى ١١٧: ١١ تحقيق السيد عبد الله يمانى ورواه الإمام أحمد فى

المسند ٤: ١٣٠ وهو حديث صحيح كما قال الترمذى.

(٤) فتح البارى ج ١ ص ٥٥ ورواه مسلم عن طريق سعد بن عبيدة بتقديم الصوم على الحج ج ١ ص ١٦٠ ط

الشعب ورواه أيضا بتقديم الحج على الصوم ص ١٥١ ورواه الترمذى ج ٤ ص ١١٦ وقال حديث صحيح والمسند ٤/٣٦٤

(٥) سورة البقرة ١١٠.

(٦) سورة البقرة ١٨٣.

(٧) سورة آل عمران ٩٧.

الله تعالى فى القرآن من غير أن يبين أوقاتها وعدد ركعاتها وأركانها وكيفيتها، فبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه ذلك بصلاته وتعليمه الناس وقال (صلوا كما رأيتمونى أصلى)<sup>(١)</sup>، ومثل ذلك فى الحج والزكاة وغير ذلك من العبادات التى وردت فى القرآن مجملة وفصلتها السنة النبوية.

ومن هذا القسم تقييد المطلق كالأحاديث التى بينت المراد من اليد فى قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾<sup>(٢)</sup> فوضحت السنة أنها اليد اليمنى وأن القطع من الكوع لا من المرفق<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا القسم أيضا تخصيص العام كالأحاديث التى خصت الوارث والمورث فى قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾<sup>(٤)</sup> فخصت السنة المورث بغير الأنبياء قال ﷺ: (نحن معاصر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)<sup>(٥)</sup> كما خصت السنة الوارث بغير القاتل يقول الرسول ﷺ: (ليس للقاتل شىء وإن لم يكن له وارث فوارثه أقرب الناس إليه، ولا يرث القاتل شيئا)<sup>(٦)</sup>.

الثالث: أن تكون السنة ناسخة لحكم ثبت بالقرآن على رأى من يجوز نسخ الكتاب بالسنة وهذا مثل حديث (لا وصية لوارث) فبهذا الحديث نسخ حكم الوصية للوالدين والأقربين الوارثين الثابت بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٧)</sup> والنسخ من قبيل البيان لأنه بيان انتهاء أمد الحكم ولذلك يطلق عليه بعض علماء الأصول بيان التبديل<sup>(٨)</sup>.

(١) أخرجه البخارى ج ١ ص ١٢٥ حاشية السندى، وأخرجه الدرامى ج ١ ص ٢٣٠ بتحقيق السيد يمانى وأخرجه الإمام أحمد والنسائى ج ٢ ص ٥٩ بنحو والشافعى فى مسنده ص ١٩.

(٢) سورة المائدة ٣٨.

(٣) الحديث والمحدثون ص ٣٨.

(٤) سورة النساء ١١.

(٥) رواه ابو داود فى سننه (٤: ٣١٣) من طريق بن راشد بإسناد صحيح ورواه الترمذى (٢: ١٤) سنن ابن ماجه:

(٢: ٧٤).

(٦) سبق تخريجه ص ٦.

(٧) سورة البقرة ١٨٠.

(٨) الحديث والمحدثون ص ٤٠.

الرابع: أن تكون السنة دالة على حكم لم يرد في القرآن وهذا القسم اختلف العلماء فيه، فذهب الجمهور إلى أن السنة أثبتت أحكاما جديدة على طريق الاستقلال. وذهب صاحب الموافقات وآخرون إلى أنها أثبتت أحكاما داخلية تحت نصوص القرآن ولو بتأويل.

وقال الشافعي رحمه الله في القسامين الأول والثاني: (والوجهان يجتمعان ويتفرعان). أحدهما: ما أنزل الله فيه نص كتاب فبين رسول الله مثل ما نص الكتاب. والآخر مما أنزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما أراد وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر الإمام الشافعي هذا القسم الذي دلت السنة فيه على حكم لم يرد في القرآن فذكر اختلاف العلماء فيه قال (فمنهم من قال جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضاه أن يسن فيما ليس نص كتاب.

ومنهم من قال لم يسن قط إلا ولها أصل في الكتاب كما كانت سنته لتبين عدد الصلاة وعملها على أصل جملة فرض الصلاة وكذلك ما سن من البيوع وغيرها من الشرائع لأن الله قال: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾<sup>(٣)</sup> فما أحل وحرّم فإنما بين فيه عن الله كما بين الصلاة ومنهم من قال بل جاءته به رسالة الله فأثبتت سنته بفرض الله ومنهم من قال (ألقى في روعه كل ما سن وسنته الحكمة التي ألقى في روعه عن الله فكان ما ألقى في روعه سنته<sup>(٤)</sup>).

ويتضح من كلام الإمام الشافعي السابق أن أصحاب الرأي الأول والثالث والرابع يرون أن السنة تستقل بالتشريع في بعض الأمور، أما أصحاب الرأي الثاني فيرون أنها لا تستقل بالتشريع وإنما تدخل أحكامها ضمن نصوص القرآن.

### أدلة القائلين بالاستقلال:

استدل القائلون باستقلال السنة بالتشريع في بعض الأمور بأنه قد ورد في القرآن الكريم

(١) الرسالة ص ٩٢.

(٢) سورة النساء ٢٩.

(٣) سورة البقرة ٢٧٥.

(٤) الرسالة للإمام الشافعي ص ٩٣.

ما يوجب طاعة الرسول ﷺ وأتباعه قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٢)</sup> فدللت الآيات على وجوب طاعة الرسول ﷺ فيما يأمر به وينهى عنه دون تفريق بين السنة المبيّنة أو المؤكدة أو المستقلة، وهكذا كل أدلة القرآن تدل على أن ما جاء به الرسول ﷺ وكل ما أمر به ونهى فهو لاحق في الحكم بما جاء في القرآن فلا بد أن يكون زائداً عليه<sup>(٣)</sup>. كما وردت بعض الأحاديث الدالة على وجوب الأخذ بما في السنة من الأحكام كما يؤخذ بما في الكتاب مثل قوله ﷺ (يوشك بأحدكم أن يقول هذا كتاب الله ما كان فيه من حلال أحللناه وما كان فيه من حرام حرمناه ألا من بلغه عنى حديث فكذب به فقد كذب الله ورسوله والذي حدثه)<sup>(٤)</sup>.

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بتبليغ أحكامه سواء كان بالكتاب أو غيره، وعصمه من الخطأ فلا مانع من استقلال السنة بالتشريع.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٥)</sup> فلا تفيد الآية قصر مهمة الرسول ﷺ على البيان بل يستفاد منها ومن قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(٦)</sup> أن الرسول يبين للناس كتاب ربهم وإذا جاوز البيان إلى الأحكام التي لم يتعرض لها القرآن فإنه حينئذ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد صرح بذلك بعض علماء السلف فمن ذلك ما يروى عن عبد الرحمن بن يزيد أنه رأى محرماً عليه ثيابه فنهاه فقال: ائتنى بآية من كتاب الله تنزع ثيابي فقرأ عليه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة النساء ٨٠.

(٢) سورة الحشر ٧.

(٣) الموافقات (٤: ١٣).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط عن جابر.

(٥) سورة النحل ٤٤.

(٦) سورة النساء ٥٩.

(٧) جامع بيان العلم ٢ ص ١٨١ الحديث والمحدثون ص ٤٤.

## أدلة المنكرين للاستقلال:

وقد استدلت أصحاب هذا الرأي بأن السنة بيان للقرآن، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٨)</sup> وأجابوا عن أدلة القائلين باستقلال السنة بأن الآيات التي تفيد وجوب طاعة الرسول يقصد منها وجوب طاعته في بيانه وشرحه (ولا يلزم من أفراد الطاعتين تباين المطاع فيه بإطلاق فلا دليل فيها على أن ما في السنة ليس في الكتاب وإذا كانت هناك أحكام زائدة فليست زائدة بزيادة شيء ليس في القرآن بل زيادة الشرح على المشروح)<sup>(٩)</sup>.

وعلى هذا الرأي تكون الأحكام الواردة في السنة اشتمل القرآن عليها بطريق الإجمال فصح أن تكون السنة بيانا للقرآن عن طريق الإلحاق أو القياس أو استنباط القواعد العامة من الجزئيات أما الإلحاق فقد ينص القرآن على حل شيء وحرمة شيء آخر ويكون هناك شيء ثالث لم ينص على حكمه وهو أخذ من كل منهما بطرف فيكون ثم مجال للاجتهد فى إلحاقه بأحدهما فيعطيه النبي ﷺ حكم أحدهما ومثال ذلك: أن الله تعالى أحل صيد البحر فيما أحل من الطيبات وحرم الميتة فيما حرم من الخبائث فدارت ميتة البحر بين الطرفين وأشكل حكمها فقال ﷺ: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته)<sup>(١٠)</sup>.

وأما القياس فقد ينص القرآن على حكم شيء فيلحق به ﷺ ما يشاركه فى العلة قياسا عليه ومثال ذلك أن الله تعالى حرم الجمع بين الأختين ثم قال: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾<sup>(١١)</sup>.

ثم جاء نهيه ﷺ عن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها من باب القياس كما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تنكح المرأة على عمتها ولا العمه

(٨) سورة النحل ٤٤.

(٩) السنة ومكانتها فى التشريع ص ٤٣٢ بتصرف يسير.

(١٠) أخرجه أصحاب السنن: سنن أبى داود بتحقيق محمد محيى الدين ج١ ص٢١ والترمذى ج١ ص٤٧ وقال هذا حديث حسن صحيح ورواه الإمام مالك فى الموطأ ص٤٣ المجلس الأعلى والدارمى ج١ ص١٥١ كلهم برواية أبى هريرة.

(١١) النساء ٢٤.

على بنت أخيها ولا المرأة على خالتها ولا الخالة على بنت أختها ولا تنكح الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى<sup>(١)</sup>.

وأما طريق استنباط القواعد العامة من نصوص القرآن الجزئية فذلك بأن تأتي نصوص من القرآن في معان مختلفة لكن يشملها معنى واحد فتأتي السنة بمقتضى ذلك المعنى الواحد فيعلم أنه مأخوذ من مجموع تلك النصوص ومثال ذلك قوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)<sup>(٢)</sup>.

فهاتان قاعدتان تؤخذان من الآيات التي تحث على الإخلاص مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٥)</sup>.

ويمكن الجمع بين ما ذهب إليه الفريقان بأن الجميع متفقون على وجود أحكام في السنة لم ينص عليها في القرآن ولكن القائلين بأن السنة لا تأتي بأحكام زائدة عما في القرآن أرادوا أن القرآن اشتمل على جميع الأحكام إجمالاً أو تفصيلاً فعلى رأيهم أن الأحكام داخلية تحت النصوص بوجه من الوجوه.

وأما القائلون بأنها تأتي بأحكام زائدة فأرادوا بذلك الأحكام التفصيلية التي لم يرد فيها نص صريح فعلى رأيهم أن السنة تستقل بالتشريع لأنها أثبتت أحكاماً جديدة، فكل واحد من الفريقين متفق على وجود أحكام زائدة عما في القرآن وإنما الخلاف في مخرجها فالخلاف إذا لفظي لأن النتيجة واحدة وهي وجود أحكام جديدة سواء سمي ذلك استقلالاً أم لا<sup>(٦)</sup>.



(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٥٦٢ الموطأ ص١٧٧ الأم ج٥ ص٤، نيل الأوطار ج٦ ص٢٨٥ سنن أبي داود ج٢ ص٢٢٤ الترمذى ج٢ ص٢٩٧ وقال: حديث حسن صحيح وابن حبان بزيادة فإنكم إذا فعلتم قطعتم أرحامكم وهو المعنى الذي حرم الجمع بسببه.

(٢) فتح الباري ج١ ص٩ المسند ج١ ص٢٠٢ ورواه مسلم ج٦ ص٤٨ والترمذى ج٦ ص٤٨ وهو حديث حسن صحيح.

(٣) البينة ٥.

(٤) الزمر ٣.

(٥) الكهف ١١٠.

(٦) الحديث والمحدثون ص ٤٥ السنة ومكانتها في التشريع ص ٤٢٣.

## المصدر الثالث: الاجتهاد

والاجتهاد: هو بذل المجتهد طاقته في استنباط حكم شرعى من الدليل بحيث يرى أنه لا زيادة على ذلك.

ويتسع مجال الاجتهاد ليشمل ما لم يرد بشأنه نص فى القرآن الكريم أو فى السنة الشريفة.

كما يدخل فى مجال الاجتهاد أيضا ما كان ظنى الثبوت فيبحث المجتهد فى سنده وفى روايته ليرى هل يصلح للاستدلال به أم لا يصلح.

ويدخل كذلك فى مجال الاجتهاد ما كان ظنى الدلالة ويكون اجتهاد المجتهد فى هذا النوع من جهة تفسيره أو تأويله ومدى دلالة على المعنى المراد وفى خصوصه أو عمومه.

وحجية الاجتهاد بالنسبة للنصوص الشرعية: إنما يكون من جهة ثبوتها أو دلالتها وعمومها وخصوصها وهل تدخل الجزئيات فى النص أم لا؟

وأما إذا كان اجتهاد المجتهد فى معرفة حكم لشيء لم يرد بشأنه نص:

فقال البعض من الشيعة والمعتزلة إنه ليس بحجة ويرى جمهور علماء المسلمين أنه جائز شرعا وعقلا بل عندما تكون الحاجة ملحة إليه وشديدة فإنه يكون واجبا ومما يدل على جواز الاجتهاد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (١).

فأمر الله تعالى فى الآية الكريمة بطاعته سبحانه وتعالى وذلك بالتمسك بالقرآن الكريم وبطاعة رسوله ﷺ وذلك بالتمسك بالسنة المشرفة وأمر بطاعة أولى الأمر فى غير معصية الله تعالى فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وفى قوله تعالى: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ما يفيد أن أولى الأمر الذين تجب طاعتهم يجب أن يكونوا منا والمخاطبون فى الآية الكريمة هم المؤمنون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فشرط طاعتهم أن يكونوا مؤمنين.

﴿فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يفيد أنهم عندما يختلفون فى حكم من الأحكام لا يلجأون إلى الهوى بل يجتهدون فى استنباط الحكم من روح الآية والحديث

(١) سورة النساء ٥٩.

بالبحث عما قد يكون غير واضح أو يكون غائبا عن العقول أو بتطبيق القواعد العامة بالحقاق الشبيهة بشيبيه، ولا شك أن قوله ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يفيد هذا الاجتهاد إذ لو كان المراد به مجرد الطاعة لكان ذلك من قبيل التكرار الخالي من الفائدة وهو ما يتنزه عنه القرآن الكريم.

ومن الأدلة على جواز القياس من السنة النبوية: ما روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعثه إلى اليمن قال له: كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضى بما فى كتاب الله، قال: فإن لم يكن فى كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم يكن فى سنة رسول الله قال: أجتهد رأيي ولا ألو، قال معاذ ف ضرب رسول الله ﷺ صدرى وقال:

الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى الله ورسوله<sup>(١)</sup>.

والحديث وإن كان مرسلا فإنه مما تلقته الأمة بالقبول واستحسنه كثير من المحدثين. \* كما يدل العقل أيضا على جواز الاجتهاد لأن الشريعة الإسلامية جاءت لكل زمان ومكان وهى خاتمة الشرائع ومما لا شك فيه أن الحوادث والأمر التى تجد فى الحياة تحتاج إلى بيان حكم الشريعة فيها وهذا بالاجتهاد فى إلحاقها بنظائرها مما ورد بشأنها نص.

\* ومن أمثلة الاجتهاد فى عهده ﷺ:

ما روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال خرج رجلان فى سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء فتيما صعيدا طيبا فصليا ثم وجدا الماء فى الوقت، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ولم يعد الآخر ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له فقال للذى لم يعد: (أصبت السنة وأجزأتك صلاتك) وقال للذى توضأ وأعاد: (لك الأجر مرتين<sup>(٢)</sup>) فأقر كلا منهما على اجتهاده ولم يزد على أحد منهما اجتهاده الذى اجتهده).  
والمراد بقوله: (أصبت السنة) أى الشريعة الواجبة ومعنى (وأجزأتك صلاتك): أى كفتك عن القضاء، والإجزاء معناه: أن يكون الفعل مسقطا للإعادة.

(١) رواه أبو داود والترمذى والدارمى.

(٢) رواه النسائى وأبو داود، وهذا الحديث لفظ أبى داود.

## من اجتهادات الصحابة رضى الله عنهم

ومن اجتهادات سيدنا أبى بكر رضى الله عنه:

– اجتهاد سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى موضوع المرتدين الذين منعوا الزكاة مع إقرارهم بالإسلام وإقامتهم للصلاة واجتهاد أبو بكر رضى الله عنه فى أن يقاتلهم حتى يؤدوا الزكاة التى كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ.

روى البخارى بسنده أن أبا هريرة رضى الله عنه قال: لم توفى رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضى الله عنه، وكفر من كفر من العرب فقال عمر رضى الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله).

قال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

قال عمر رضى الله عنه: فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر رضى الله عنه فعرفت أنه الحق<sup>(١)</sup>.

ومن اجتهادات سيدنا عمر رضى الله عنه:

ما روى ابن عباس رضى الله عنهما أن الطلاق الثلاث دفعة واحدة كان يعد واحدة على عهد رسول الله ﷺ وعهد أبى بكر رضى الله عنه وستين من خلافة عمر رضى الله عنه. ثم وجد عمر أن الناس قد أكثروا منه مع مخالفته لما شرع الله فقال: إن الناس قد استعجلوا فى أمر كان لهم فيه أناة فلو أمضيته عليهم، تأديبا للمطلقين وزجرا لغيرهم.

ومن ذلك أيضا اجتهاده فى عام المجاعة فى عهده حيث كثرت السرقات فأوقف الحد وهو قطع يد السارق أو السارقة المذكور فى قول الله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخارى.

(٢) سورة المائدة ٣٨.

## أنواع الاجتهاد

والاجتهاد نوعان: اجتهاد فردى واجتهاد جماعى:  
فأما الاجتهاد الفردى: فهو أن يجتهد فرد فى مسألة من المسائل كاجتهاد معاذ رضى الله عنه عندما بعثه الرسول ﷺ إلى أهل اليمن.  
ومثل اجتهاد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى تقسيم العطاء بين المهاجرين والأنصار.  
وأمثلة هذا النوع كثيرة.  
وأما النوع الثانى وهو الاجتهاد الجماعى فهو كل أمر اتفق عليه المجتهدون كاتفاق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين على إمامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقتال مانعى الزكاة وما إلى ذلك.  
وهذا النوع من الاجتهاد الجماعى هو الذى يسمى بـ (الإجماع).

### الإجماع

والإجماع لغة التصميم أو جمع الكلمة على أمر.  
وفى الاصطلاح: هو أن يتفق أهل الاجتهاد من علماء الأمة الإسلامية بعد رسول الله ﷺ على حكم شرعى.

#### حجية الإجماع:

ويرى جمهور العلماء أن الإجماع حجة شرعية ويجب العمل به ومما يدل على حجية الإجماع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَهُ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ۝ ﴾ (١).

ومصادر الإجماع أمران:

الأول: القياس وذلك بأن يقيس المجتهد ما لا نص فيه على ما فيه نص.  
والثانى: رعاية المصلحة كما حدث عندما تحرج أبو بكر فى جمع القرآن قائلا: أفعَل ما لم يفعل رسول الله ﷺ، فقال عمر: إنه أمر لا ضرر فيه بل فيه الخير.

(١) سورة النساء ١١٥.

## القياس

والقياس لغة التقدير. وفي الاصطلاح هو أن يشارك أمر لا نص فيه أمراً آخر فيه نص في علة الحكم وإلحاقه به وتلاحظ أن القياس يشتمل على أركان أربعة:

الأول: المقيس وهو الذى يراد إلحاقه بغيره.

الثانى: المقيس عليه وهو الذى ورد نص على حكمه.

الثالث: الحكم وهو ما اشتمل عليه النص.

الرابع: العلة وهى التى يببنى الحكم على أساسها ومثال القياس تحريم غير الخمر من

كل ما فيه علتها من السكر وغيبية العقل فالخمر ورد النص القرآنى بشأنها ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾<sup>(١)</sup>.

وغيرها من نبيذ الشعير أو التمر وغير ذلك من المشروبات والمطعمات والحبوب الحديثة كل ذلك يقاس على الخمر.

ومن أدلة القياس:

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فنهى عن قربان النساء فى المحيض لعله هى الأذى والضرر فقد ذكر الحكم بعلمته مشيراً إلى أنه حيث وجدت العلة وجد الحكم وهناك بعض الآيات التى فيها القياس كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن السنة ما روى أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: (إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال ﷺ: نعم حجى عنها رأيت لو كان على أمك دين أكننت قاضيته؟ اقضوا حق الله فالله أحق بالوفاء).

(١) سورة المائدة ٩٠.

(٢) سورة البقرة ٢٢٢.

(٣) سورة آل عمران ٥٩.

## أركان الإسلام

- ١- شهادة أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله.
- ٢- الصلاة.
- ٣- الزكاة.
- ٤- الصيام.
- ٥- الحج.

## الشهادتان

### شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

تمثل الشهادتان الدعامة الأولى في الإسلام، والأساس الذى تقوم عليه سائر الأركان الأخرى، فشهادة أن لا إله إلا الله هي العروة الوثقى التى شهد بها الله وملائكته وأولوا العلم قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) فهذه الشهادة تتضمن كمال العقيدة الإسلامية فى جانب الله سبحانه وتعالى وأنه الخالق والمدبر وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٢).

وأما الشهادة برسالة سيدنا محمد ﷺ فتتضمن التصديق بكل ما جاء به من ربه فتشمل التصديق بأنه رسول الله والتصديق بملائكة الله وكتبه ورسله كما قال تعالى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (٣).

وقد ثبتت رسالة الرسول ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (٤) وأن دعوته عامة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (٥).

والمراد بالشهادتين النطق بهما والتصديق بما يشتملان عليه والاعتقاد الراسخ بوحداية الله تعالى وأنه لا شريك له وتنزيهه سبحانه عن صفات الحوادث من وجود الولد والوالد أو غير ذلك من كل ما لا يليق بكماله كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ

(١) سورة آل عمران ١٨.

(٢) سورة الكهف ١١٠.

(٣) سورة البقرة ٢٨٥.

(٤) سورة الأحزاب ٤٠.

(٥) سورة سبأ ٢٨.

﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴿١﴾ كما أن الشهادة تعنى كذلك بما تدل عليه أن الله حي قيوم قادر على كل شيء لا تأخذه سنة ولا نوم عليهم بكل شيء. ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ ﴿٢٥٥﴾ ﴿٢﴾ .

والشهادة برسالة الرسول تحتوي ذخيرة الرسائل وكمال الفضائل وتمام الدين ، قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)

وقد وضح الرسول ﷺ دعائم الإسلام في حديثه الجامع الذي رواه البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان). وكلمة الشهادة يطلق عليها كلمة الإخلاص أو كلمة التوحيد وذلك لأن فيها إقراراً بوحداية الله تعالى وتصديقا به وبما جاء به رسوله ، ولأن فيها اتجاهها لله وحده لا شريك له ، فالعبادة خالصة والدين خالص لله قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿٣﴾﴾ وقال تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾ ﴿٤﴾ .

وقد كان شعار الرسول ﷺ بالنسبة لصلته بالله: قل إن صلاتي ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ: قال: (من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راضى) رواه ابن ماجه والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

□□□

(١) سورة الإخلاص ١-٤.

(٢) سورة البقرة ٢٥٥..

(٣) سورة الزمر ٢.

(٤) سورة الزمر ١١.

## الصلاة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾. هذه هي الدعامة الثانية من دعائم الإسلام (الصلاة) هي عبادة بدنية فرضت على المسلمين خمس مرات في اليوم واللييلة: صلاة الصبح وصلاة الظهر، وصلاة العصر، وصلاة المغرب، وصلاة العشاء.

والصلاة لغة، الدعاء وشرعا أقوال وأفعال مفتوحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشروط مخصوصة والصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين. وقد اشتملت الصلاة على جميع مظاهر التعظيم والأدب الرفيع والخشوع لله تعالى، ولذا كانت الصلاة صلة بين العبد وربّه وكان العبد أقرب ما يكون إلى ربه في حال الصلاة وهو ساجد. ومن أقام الصلاة وحافظ عليها محافظة تامة فلم يخل بشرط من شروطها أو حكم من أحكامها، وأداها في أوقاتها كاملة الخشوع والخضوع كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: (ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله، رواه مسلم. ويتضح لنا سمو مكانة هذه الفريضة ومنزلتها الهامة عند الله سبحانه وتعالى حيث فرضت في السماء فقد استدعى الحبيب حبيبه وعرج به إلى السماوات حتى كان في حضرته القدسية ليخاطبه مشافهة بهذا الأمر الهام وبذلك الفريضة المحبوبة (الصلاة). فمنزلة الصلاة من الدين كمنزلة الرأس من الجسد فلا دين لمن لا صلاة له.

روى الطبراني في الأوسط والصغير: عن ابن عمر رضی الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد.

وقد اهتم الكتاب والسنة بأمر الصلاة والتحذير من تركها فقد أمر الله تعالى بها رسوله: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ كما جعلها أساسا أصيلا من أسس التقوى تأتي مرتبتها بعد الإيمان بالغيب مباشرة، قال تعالى: ﴿هُدًى يَنْتَظِرِينَ﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٠﴾ ويجعلها النبي ﷺ الفاصل بين المسلم والكافر فيقول

فيما رواه مسلم: (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) فليس غريبا أن يقول بعض الأئمة بكفر تاركها ويقول آخرون بفسقه ويخشى عليه ترك الإيمان.

قال عليه الصلاة والسلام: في حديث الإسراء (فانطلقت فمررت على ملك وأمامه آدمى، وبيد الملك صخرة يضرب بها هامة آدمى فيقع دماغه جانبا، وتقع الصخرة جانبا ولما سألت عن ذلك قيل له: أولئك الذين كانوا ينامون عن صلاة العشاء الآخرة ويصلون الصلوات لغير مواقيتها فهم يعذبون بها حتى يصيروا إلى النار).

إذن فالصلاة أهميتها البالغة ومكانتها التي لا تطاولها مكانة فهي أول ما يسأل عنه العبد ويحاسب عليه يوم القيامة بل إنها الميزان الصحيح الذي توزن به سائر الأعمال فحيث كانت الصلاة سالحة ومقبولة صلح سائر العمل، وحيث كانت غير سالحة فسد سائر العمل ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ وتكف صاحبها عن الشرور وتسمو به حيث الرضا والكمال، أما من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له لأنه لم يستكمل عبادتها ولم تكن إقامته لها سالحة ومستقيمة وقد وضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه حقيقة الصلاة كميزان للأعمال: عن عبد الله بن قريط رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله) رواه الطبراني في الأوسط.

وعلاوة الصلاة السالحة المقبولة أن يؤديها صاحبها متواضعا فيها لعظمة ربه الكبير ولم يستطل على أحد من خلق الله فهو ينتظم في صفوف الطائعين غير مُصْرٍ على معصيته، وإنما يحيا في ذكر الله ويتعاطف مع عباد الله ولقد جاء في حديث يرويه النبي ﷺ عن ربه سبحانه وتعالى: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي ولم يبيت مصرا على معصيتي وقطع النهار في ذكرى ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب».

وتتضح ثمرة الصلاة المقبولة بنهيتها صاحبها عن الآثام، وتكفيرها للخطايا فبالصلاة تنزكى الروح ويتطهر القلب من غفلات الهوى وأدران الخطايا قال عليه الصلاة والسلام: «أرأيتم لو أن نهرا على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى على بدنه من درنه شيء؟ قالوا: لا، قال: كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»، فهي إذا طهارة للإنسان وبراءة من الذنوب وإطفاء لما يحترق به الإنسان من المعاصي يتضح

هذا مما رواه ابن مسعود: «تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها ثم تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها ثم تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها ثم تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا تكتب عليكم حتى تستيقظوا» ويروى عن سلمان الفارسي أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فأخذ منها غصنا يابساً فهزه حتى تحات ورقة ثم قال: يا سلمان ألا تسألني لم أفعل هذا؟ قلت: ولم تفعله؟ قال: إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياها كما تحات هذا الورق إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين، وللصلاة أثرها الإيجابي في حياة المؤمن فهي لقاء روحى خصب يقف فيه بين يدي الرحمن الرحيم في مناجاة عذبة يتلقى شحنات روحية تدخله في رحاب الرضا والقبول، قال تعالى في الحديث القدسي: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال عز وجل: حمدنى عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى على عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدنى عبدي، فإذا قال: إياك نستعين، قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدى ما سأل، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٥ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ قال الله. هذا لعبدى ولعبدى ما سأل.

والصلاة مع هذا كله نظافة للبدن والثوب والمكان ورياضة للجسم والروح والعقل فهي إذا قوة روحية وبدنية وخلقية.

أليست - بهذا كله - جديرة بأن تفرض من فوق سبع سماوات بلى إنها لجديرة أن تفرض في الليلة المباركة ليلة الإسراء والمعراج فهي عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين.

ومن ثمرات الصلاة التي يجنيها المؤمن أن فيها متنفساً للمتعبين والمنكوبين، فإذا استعان الواحد منهم بالصبر والصلاة وجد الله تعالى معه، وقد نادى الله تعالى عباده المؤمنين: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾<sup>(١)</sup> ولقد كان النبي صلوات الله وسلامه عليه إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة فهي

(١) سورة البقرة ٤٥.

مرفاً الراحة والطمأنينة، ومنزل الأمن والسكينة، بها يتغلب الإنسان على نوازع الجبن والخوف ومواقف الهوى والحمول، ففيها مقاومة للجزع الذى يصيب بعض الناس وقت نزول الشر، وعلاج للنفوس المناعة للخير حين يكون: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣﴾<sup>(١)</sup>.

والمصلى لا بد أن يكون فى صلاته مستحضرا كل أحاسيس الخشوع، لأنه إنما يقف بين يدى الحضرة الإلهية فى دائرة الرحمة والفيض الإلهى فلا ينبغى له أن يكون من المرائين أو الساهين فإن هؤلاء قد توعدهم ربهم على عدم إخلاصهم فى صلاتهم، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويحث الإسلام مقيم الصلاة بالانتظام فى سلك المجتمع وألا يعيش فى عزلة عن الناس، فأمر بأداء الصلاة فى جماعة وجعلها أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة بل إن الرسول ﷺ هم أن يحرق على قوم بيوتهم لأنهم يتخلفون عن الجماعات.

روى مسلم عن ابن مسعود قال: من سره أن يلقي الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى وإنكم لو صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها - أى صلاة الجماعة - إلا منافق معلوم النفاق «ولقد كان الرجل يؤتى به يتهادى بين الرجلين يسندانه لمرضه حتى يقام فى الصف».

وفى رحلة الإسراء والمعراج وضح الله تعالى لرسوله ﷺ مغبة أمر الذى تتناقل رأسه عن الصلاة، فقد مر صلوات الله وسلامه عليه على قوم ترضح رؤوسهم بالصخر، وكلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة، بل إنه قد أدى الصلاة على كيفية خاصة قبل أن تفرض إماما بالنبیین، وفى هذا ما يدل على عظمة هذه الفريضة وعظمة الرسول ﷺ، ففى

(١) سورة المعارج: ١٩: ٢٣.

(٢) سورة الماعون: ٤: ٧.

رواية ابن مسعود: ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد، ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفًا ننتظر من يؤمننا، فأخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم.

وفى رواية أبي أمامة عند الطبراني، ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمد ﷺ. إذا فمكانة هذه الفريضة مكانة جليلة فهي معراج إلى الله يعبر بها المؤمن الحدود الدنيا ويستشرف في سمو روحى الأجواء الإلهية ويجتاز طبقات البعد عن الله فيقترب من رحابه ويأنس فى مرافىء الرحمة والسلام.

ويقول الإمام القشيري، سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول إن نبينا عليه السلام أتى للأمة بالمعراج على التحقيق فإن الصلاة لنا بمنزلة المعراج وقد كان المعراج له عليه السلام ثلاث منازل من الحرم إلى المسجد الأقصى ثم من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى، ثم منها إلى قاب قوسين أو أدنى، وكذلك لنا الصلاة ثلاث منازل القيام ثم الركوع ثم السجود وهو نهاية القرب، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾<sup>(١)</sup>.

□□□

---

(١) سورة العلق ١٩.

## التعريف بالزكاة

الزكاة في اللغة: تطلق بمعنى النماء أى الزيادة، يقال: زكا الزرع إذا نما وزاد، وقد سميت بذلك، لما يترتب عليها من زيادة المال وزيادة البركة فيه وزيادة الثواب والأجر لمن يؤديها. وسميت صدقة. لأنها دليل لتصديق صاحبها وصحة إيمانه كما قال ﷺ: «... والصدقة برهان» كما تطلق الزكاة بمعنى التطهير، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾<sup>(١)</sup> بمعنى طهرها.

والزكاة في الشرع: هي دفع جزء من المال لمن يستحقه بشروط معينة أو هي كما يرى الحنابلة: حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص. والزكاة من دعائم الإسلام، وركن من أركانه، وفرض عين على كل من اجتمعت فيه شروطها، وفرضت في السنة الثانية من الهجرة، ويدل عليها القرآن والسنة والإجماع، واتفقت الأمة على فرضيتها حتى صارت معلومة من الدين بالضرورة وقد جعلها الإسلام مع شهادة التوحيد وإقامة الصلاة دليلا على إسلام صاحبها وأنه يستحق الأخوة الإسلامية الصادقة في الدين، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾.

لهذا فإن من جحد الزكاة كان كافرا، ومن منعها كان فاسقا، وقد قاتل أبو بكر رضي الله عنه ما نعى الزكاة، روى البخارى بسنده أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر رضى الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمر رضي الله عنه كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله، فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال. والله لو منعوني عقلا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها، وقال عمر رضي الله عنه فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق.

(١) سورة التوبة ١١.

ولقد فاوت الإسلام بين المقادير الواجبة، وجعلها مختلفة باختلاف السعى والتحصيل، فما كان منها سهل الحصول لاعناء فيه فقد أوجب الإسلام فيه الخمس وهذا في المعدن والركاز - وهو عبارة عن الكنوز التي يصادفها الإنسان في الأرض مدفونة من زمن قديم والمعدن مثل الحديد والذهب والنحاس فمتى حصل على شيء من ذلك وجب فيه الخمس مباشرة دون اعتبار الحول.

أما ما يكون الحصول عليه بمشقة فوق ذلك كالزروع والثمار فقد أوجب العشر فيما سقى منها بغير كلفة أو عناء كأن تسقى بالأنهار أو الغيم أو السيول الجارية دون آلة أو معاناة وأما ما كان يسقى منها بمعالجة وآلة أو دابة أو غير ذلك فأوجب فيه نصف العشر. وما كان النماء فيه متوقفا على العمل المستمر من صاحب المال والكلفة أكثر من الزروع والثمار فقد أوجب فيه ربع العشر وذلك في النقد وعروض التجارة.

وفي الزكاة امتحان لنفس المسلم يبرهن بدفعها على صدق إيمانه وصحة عقيدته، قال حجة الإسلام الغزالي - في الإحياء - : وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد، قال الشعبي - بعد أن قيل له - هل في المال حق سوى الزكاة؟ قال: نعم أما سمعت قوله عز وجل: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(١)</sup> الآية واستدلوا بقوله عز وجل: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ويقول تعالى: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم، ومعناه أنه يجب على الموسر إذا وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة.

وفي الزكاة تطهير لنفس المسلم المزكى من أفة الشح والبخل فإنه من المهلكات، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٤)</sup> فإذا ما تعود المسلم بذل المال، وقهر النفس على مفارقتها أصبح ذلك عادة وبهذا تطهر الزكاة صاحبها من البخل المهلك.

كما أن فيها تطهيرا للمال وتزكية له فتكون فيه، البركة وينمو ويحفظ من الأفات والتلف

(١) سورة البقرة ١٧٧.

(٢) سورة البقرة ٣.

(٣) سورة البقرة ٢٥٤.

(٤) سورة الحشر ٩.

قال ﷺ: « حصنوا أموالكم بالزكاة ». فتطهير المال إذا فيه تحصين له وحفظ من التلف وما ذلك الجزء الذي يخرج الزكاة إلا حق لأصحابه المحتاجين وتعبير القرآن الكريم عنه بأنه حق يشير إلى أنه ليس منحة أو عطية أو تفضلا وإنما هو حق، قال تعالى: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾<sup>(٢)</sup>. أما المالكون أصحاب المال فهم مستخلفون فيه قال تعالى: ﴿ ءَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَأَمِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفى الزكاة أيضا تطهير لنفس الفقير أو المحتاج الذي تدفع إليه، وذلك بتطهيرها من آفة الحقد والكراهية، فالزكاة كما هي رابطة بين العبد وربيه فهي كذلك رابطة بين الإنسان وأخيه الإنسان تتم بها معاني التواد والتراحم والتعاطف، قال الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾<sup>(٤)</sup>.

ويجب أن تكون الزكاة خالصة من شوائب الرياء، فيدفعها المسلم ابتغاء وجه ربه، حتى ينال الجزاء الوافر وتكون مقبولة، قال تعالى: ﴿ فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلَطَّطُونَ لَا يُصَلِّئُهَا إِلَّا الْآشَقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيَجْزِيهَا الَّذِي يُوْتِي مَالَهُ يَتَرَكُ وَمَا لَهُ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَسَوْفَ يُرْضَى ﴾<sup>(٥)</sup>، كما يجب أن تكون الزكاة خالصة لوجه الله فيدفعها المسلم مخلصا فيها بعيدا عن المن والأذى حتى يكون له الأجر الكامل عليها قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>.

والزكاة عبادة مالية يتمثل فيها شكر الله تعالى على نعمة المال كما أن الصلاة عبادة بدنية يتمثل فيها شكر الله تعالى على نعمة البدن.

□□□

(١) سورة الذاريات ١٩.

(٢) سورة المعارج ٢٤ : ٢٥.

(٣) سورة الحديد ٧.

(٤) سورة التوبة ١٠٣.

(٥) سورة الليل ١٤ : ٢١.

(٦) سورة البقرة ٢٦٢.

## مصارف الزكاة

لقد حدد الله تعالى الجهات التي تصرف فيها الزكاة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَامِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وأول مصارف الزكاة: الفقراء والفقير من له أدنى شيء.

والثاني: المساكين والمسكين من لا شيء له وقيل: بالعكس.

وهذان النوعان هم أكثر الأنواع وجودا، وقيل أن يخلو منهم مجتمع من المجتمعات، ولكن ليس معنى هذا أن الإسلام يشجع على البطالة وعدم الكسب اعتمادا على مال الزكاة كما يفعله بعض المحترفين من المتسولين القادرين إنما حرم الإسلام الصدقة على القادر الذي يكون سليم الأعضاء قوى البنية متمكنا من العمل ولذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تحل الصدقة لغنى ولا لذي مِرَّةٍ سوى» - أى قوى سليم الأعضاء - رواه أبو داود والترمذى.

نعم قد يكون قويا فى الظاهر إلا أنه غير مكتسب أو عجز عن العمل فعندئذ يقوم المجتمع الإسلامى بحاجاته، وقد جاء رجلان إلى النبي ﷺ فى حجة الوداع وهو يقسم الصدقة، فسألاه منها، فرفع فيهما البصر وخفضه، فرآهما جليدين قويين فقال: "إن شئتما أعطيتكما، ولا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب، رواه النسائى وأبو داود.

والصنف الثالث: هم العاملون عليها: وهم الذين يقومون بجمع الزكاة ممن وجبت عليهم، وكان هذا النظام موجودا فى صدر الإسلام الأول، فكان العاملون يأخذون جزاء عملهم من مال الزكاة إلا أن هذا النوع غير موجود ولكن حكمه باق ويمكن تنفيذه إذا عاد نظام جمع الزكاة ويعين لهذا العمل بعض الناس.

والنوع الرابع: المؤلفة قلوبهم، وهم الذين دخلوا الإسلام ولكن إيمانهم ضعيف، ويخشى عليهم أن يردوا عن الإسلام فهؤلاء يعطون لتأليف قلوبهم وتشبيتهم على الدين، كما يمكن أيضا أن يصرف هذا السهم فى عصرنا الحاضر لنشر الدعوة إلى الإسلام.

(١) سورة التوبة ٦٠.

**والنوع الخامس:** «وفي الرقاب» أى فى العتق وتحرير رقاب الأرقاء فعلى المسلمين أن يعطوهم من مال الزكاة لإعانتهم على التحرر، أو لشراء بعض الرقاب لعتقها، أو لإعانة من يحتاج منهم إلى الإعانة من المكاتبين حتى يستطيعوا الوفاء بأقساطهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكُنُبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتَبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

**والنوع السادس:** الغارمون، وهم الذين لحقتهم ديون بسبب إصلاح ذات البين أو تعطل بعض أعمال هامة لهم كان فيها نفع للأمة كالعمل التجارى أو الصناعى مثلا، وتعذر عليهم الوفاء بتلك الديون بشرط ألا تكون فى معصية الله أو بسبب فساد أخلاقهم وإلا فلا يعطون منها.

**والنوع السابع:** فى سبيل الله، وهو يتضمن الجهاد، وإعداد العدة وتجهيز الجيوش، ويدخل تحت كلمة فى سبيل الله أيضا بناء المساجد وإصلاحها، وبناء المدارس، وبناء المستشفيات وغير ذلك من المنافع العامة التى تكون خالصة لله وفى سبيل الله.

**النوع الثامن:** ابن السبيل، وهو الذى انقطع فى سفره عن بلده وأصبح بعيدا وغريبا واحتاج إلى المال ليتم مهمته ويرجع إلى بلده ويلاحظ فى الآية الكريمة التى بينت مصارف الزكاة أن دائرة الاستحقاق فيها على نوعين:

**الأول:** نوع يعطى الزكاة فينفقها على حسب ما يراه وهم الفقراء والمساكين والعمالون عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمون وابن السبيل.

**والثانى:** فى المصالح العامة التى يستفيد بها الناس وهى المذكورة فى قوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

هذه هى مصارف الزكاة، ومن حق المتصدق أن يدفع صدقته إلى كل واحد منهم، وأن يقتصر على صنف منهم، قال العلامة أبو السعود: لأن اللام - أى فى قوله «إنما الصدقات للفقراء» - لبيان أنهم مصارف لا تخرج عنهم لا لإثبات الاستحقاق وقد روى ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضى الله عنهم وعند الشافعى لا يجوز إلا أن يصرف إلى ثلاثة من تلك الأصناف.

□□□

(١) سورة النور ٣٣.

(٢) سورة التوبة ٦٠.

(٣) سورة التوبة ٦٠.

## الصيام

الصيام هو أحد أركان الإسلام التي يقوم بها، ويبنى عليها: وقد فرضه الله تعالى على المؤمنين من هذه الأمة، كما فرضه على من قبلها من الأمم فالصوم عبادة قديمة لم تخل أمة من الأمم من افتراضها، وكان لكل أمة صوم.

فمن أنواع الصوم السابقة: صوم بعض المتصوفة لجميع أيام العمر رغبة في مزيد من الثواب، ومثل هذا صوم بعض الرهبان.

ومن أنواع الصيام: الصيام عن الكلام. وعرف هذا النوع عند اليهود ومن ذلك: ما حكاه الله تعالى عن مريم عليها السلام ﴿فَأَمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشْرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

ومن أنواعه كذلك: الصيام عن جميع الأعمال أو أغلبها، كما هو عند البوذيين واليهود. ومنه: صوم بعض الهنود الذين يجعلون الأرض وطاء لهم. وما إلى ذلك من صفات الامتناع والإسك التي تعددت عند كل قوم على حسب صومهم.

والناظر إلى فريضة الصيام في الإسلام يرى أنها أخذت وضعا يختلف عما كان عليه غير المسلمين، وجاءت وسطا بين الأنواع الأخرى. فلا هي امتناع دائم يشق على المسلمين القيام به، ولا هي امتناع قصير، لا يترك كبير أثر في النفوس إنها وسط بين أمور، لا إفراط فيها ولا تفريط مما يدل على سماحة الإسلام ويسره، ودقة تشريعه وحكمته.

### حكم الصوم:

وقد فرض الصيام على المسلمين لحكمة جليلة، هي تحصيل تقوى الله تعالى، كما أشار سبحانه في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلِكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وبهذا تتحدد لنا الحكمة من الصيام وهي الوصول إلى التقوى وهي اتقاء عذاب الله، باتقاء كل معصية فيمتثل الإنسان ما أمر الله به ويجتنب ما نهى عنه.

(١) سورة مريم، آية ٢٦.

(٢) سورة البقرة، آية ١٨٣.

وفى قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾<sup>(١)</sup> فى هذه الآية بيان لسبب اختصاص شهر رمضان بالصوم دون سواه من بقية شهور السنة وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أشار إلى الحكمة فى اختيار شهر رمضان بالصوم: بأنه الشهر المبارك الذى ميزه الله تعالى بنزول أكبر نعمة فيه وهى القرآن الكريم الذى يهدى للتى هى أقوم. وفيه شفاء لما فى الصدور ورحمة للمؤمنين، وتطهير للقلوب، وتزكية للأرواح، وتلك نعمة من أعظم النعم وأجلها، يجب على من اهتدوا به أن يشكروا صاحبها بالغدو والآصال بل إن الشكر على النعمة ينبغى أن يكون من جنسها فى المضمون وفى النتيجة فكان (الصوم) الذى يعمل على تطهير القلوب والسمو بالأرواح.

وإذا علمنا أن الصوم فرض على الأمم السابقة، فهل فرض على المسلمين صوم قبل رمضان؟ ذهب الجمهور وبعض الشافعية، إلى أنه لم يجب صوم على المسلمين قط قبل رمضان. ومن أدلة الشافعية: حديث معاوية مرفوعاً «لم يكتب الله عليكم صيامه»<sup>(٢)</sup> وذهب الحنفية إلى أن أول ما فرض صوم يوم عاشوراء، فلما نزل رمضان نسخ، واستدلوا بظاهر حديثى ابن عمر، وعائشة، عن ابن عمرو رضى الله عنهما قال: صام النبى ﷺ عاشوراء وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك وكان عبد الله لا يصومه إلا أن يوافق صومه، رواه البخارى، وعن عائشة رضى الله عنها، أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية ثم أمر رسول الله ﷺ بصيامه حتى فرض رمضان، وقال رسول الله ﷺ: من شاء فليصمه ومن شاء أفطره، رواه البخارى ومسلم.

وقد كان رسول الله ﷺ يصوم يوم عاشوراء فى مكة قبل الهجرة، وبعد أن هاجر إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه، وهذا إنما كان عن وحي أوتواتر أو اجتهاد لا بمجرد أخبار الآحاد، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قدم النبى ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه

(١) سورة البقرة، آية ١٨٥.

(٢) رواه البخارى وتعام الحديث "هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن

شاء فليفطر".

وأمر بصيامه ، رواه البخارى وفى رواية مسلم: هذا يوم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه.

وقد فرض صوم رمضان فى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة فنسخ وجوب صوم يوم عاشوراء على مذهب أبى حنيفة ، وعلى مذهب غيره نسخ تأكيد استحباب صومه .  
وقد ثبت وجوب صوم رمضان ، بالقرآن والسنة ، عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان "وفى هذه الرواية تقدم الحج على الصوم ، وذلك لأن فى الحج بذلا للمشقة والمال ، وفى بعض الروايات قدم الصوم على الحج ، وذلك لأن الصوم أعم وجوبا من الحج .  
والصوم معلوم من الدين بالضرورة فمن جحد وجوبه ، فهو كافر إلا إذا كان قريب عهد بالإسلام أو نشأ بعيدا عن أهل العلم.

### تعريف الصيام لغة وشرعا:

يطلق الصيام فى اللغة على الإمساك مطلقا ، سواء كان إمساكا عن طعام وشراب أو قول أو عمل ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ ﴾<sup>(١)</sup> ، بمعنى : الإمساك عن الكلام والسكوت عنه .

وشرعا : هو إمساك عن المفطر على وجه مخصوص مع النية ، وعرفه البعض بأنه الإمساك عن شهوتى البطن والفرج يوما كاملا من طلوع الفجر الثانى إلى غروب الشمس بنية مخصوصة ويجب صوم رمضان ، إما بإكمال شعبان ثلاثين يوما ، وإما برؤية الهلال ليلة الثلاثين ، لقول الرسول ﷺ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما» .

(١) سورة مريم ٢٦ .

## منزلة شهر رمضان

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر "قالوا: حدثنا إسماعيل وهو ابن جعفر عن أبي سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين.

وحدثني حرملة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن ابن أبي أنس أن أباه حدثه أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت جهنم وسلسلت الشياطين.

### اللغة

(إذا جاء رمضان) والرواية الثانية: إذا كان رمضان، وفي رواية أخرى. إذا دخل رمضان، والمعنى: إذا ابتدأ رمضان، وسمى بـرمضان لأنه وافق مجيئه في الرمضاء، وهي شدة الحر، فسمى بذلك، وقيل لأنه يرمض الذنوب، أى يحرقها بمعنى يمحوها. وقيل: لأن القلوب تحترق فيه من الموعظة.

(فتحت أبواب الجنة) روى بتخفيف التاء فى «فتحت» وبتشديدها والتشديد يفيد الكثرة والمبالغة فى الفتح وكذلك بالنسبة إلى قوله تعالى: «وغلقت..» بالتشديد، «وصفدت الشياطين» أى شدت بالأصفاة وهى الأغلال، وهى بمعنى سلسلت، والصفد بفتح الفاء الغل بضم الغين أى القيد.

### المعنى

يبرز هذا الحديث أسمى ما يتطلع إليه المسلم فى الدنيا والآخرة ويوضح أجل خصائص الشهر المبارك، وأعظم علامات الخير فيه، وهى تفتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب النار، وتسلسل الشياطين.

وقد احتل شهر رمضان المبارك هذه المنزلة الجليلة فى الإسلام، لما نزل فيه من القرآن الكريم الذى يهدى للتى هى أقوم، وغير ذلك من الفيوضات الكثيرة. فهو شهر الخير والبر، والفضل والرحمة، لو يعلم الناس ما فى رمضان من الخير لتمنوا

أن تكون السنة كلها رمضان، ويمكن أن نوجز مقومات الخير في شهر رمضان، والتي من أجلها كانت له هذه المنزلة الجليلة فيما يأتي: -

١- ما تحدث عنه القرآن، بقوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾<sup>(١)</sup> فنزول القرآن هو أكبر نعمة وأعظم مقومات الخير التي جعلت للشهر مكانة عظيمة من بين الشهور، وكما قال تعالى ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾<sup>(٢)</sup> وما ورد كذلك في السنة الشريفة: إن صحف إبراهيم أنزلت في أول ليلة من رمضان، وأن التوراه أنزلت لست مضيئ منه، وأن الإنجيل أنزل لثلاث عشرة خلت منه.

٢- ما تميزت به فريضة الصيام من خصائص جعلتها عبادة روحية صافية من أذى رياء، لأنها سر بين العبد وربّه لا يطلع عليه أحد سواه، ولأن فيها امتناعاً عن ملاذ النفس وشهواتها، وكبحاً لجماعها.

٣- ما أفاءه الله تعالى على الصائمين من فضل، حيث ينزل عليهم الرحمة، ويستجيب لهم الدعاء، وبضاعف الأجر، من تقرب في رمضان بخصله من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى، سبعين فريضة فيما سواه. فإذا كانت هذه هي منزلة الشهر العظيم، فلا غرابة أن يحيطه الله تعالى بمكرمات عظيمة، بتقدير وإجلال، يليق بمنزلته كتفتح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار، وتصفيد الشياطين.

ويحتمل في قوله: تفتح أبواب الجنة ثلاثة وجوه:

أولاً: أن نحمل اللفظ على ظاهره وحقيقتة، وتكون هذه الأمور المذكورة وهي تفتح أبواب الجنة، وتغليق أبواب جهنم وتصفيد الشياطين، علامة لدخول الشهر، وتكريماً له وتعظيماً، وفي حبس الشياطين في رمضان كف لهم عن إيذاء المؤمنين.

ثانياً: أن نحمل التعبير على المجاز، فيكون فتح أبواب الجنة إشارة إلى كثرة الثواب، وغلق أبواب النار إشارة إلى العفو، وتصفيد الشياطين إشارة إلى قلة إغوائهم، فكأن حالهم أشبهت حال المصفدين ويكون هذا التصفيد خاصاً بناس دون ناس، وعن أمور دون أمور،

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) سورة البقرة ١٨٥ (سبق تخريجه).

ويؤيد هذا الرواية الثانية (وفتحت أبواب الرحمة)، وجاء في حديث آخر: «صفت مردة الشياطين».

**ثالثا:** أن تكون العبارة من قبيل المجاز المرسل، فأطلق «المسبب» وهو تفتح أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وتصفيد الشياطين، وأراد «السبب» وهو فعل الطاعات، وعمل الخيرات، والكف عن المعاصي والسيئات.

وإنما يستشعر كل هذا من صام صوما حقيقيا، وقد وضحت السنة الشريفة سمات الصوم الحقيقي المقبول، وعلى ضوءها يمكن للصائم أن يستشف ما عليه عبادته، ويتعرف على ثمرة طاعته، وذلك بما تثمره عبادة الصيام من الكف عن المعاصي، وغرس الفضائل، والتحلى بمكارم الأخلاق والصدق في القول والعمل. أما إن ظهر كذب أو زور أو غير ذلك من الرذائل فنتيجة الصوم هي ما أخبر عنها النبي ﷺ في قوله: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

وقال بعض العلماء: يحتمل أن يكون المراد أن الشياطين هم مسترقوا السمع منهم وأن تسلسلهم يقع في ليالي رمضان دون أيامه، لأنهم كانوا منعوا في زمن نزول القرآن من استراق السمع فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ. وقال الطيبي: فائدة فتح أبواب السماء، توقيف الملائكة على استحمام فعل الصائمين، وأنه من الله بمنزلة عظيمة. أه، من الفتح.

ويستدل بقول الرسول ﷺ (إذا جاء رمضان...) على أنه يجوز أن يقال (رمضان) من غير ذكر الشهر بدون كراهة، وقد ذكر الإمام النووي ثلاثة مذاهب في هذه المسألة: الأول: ما ذهب إليه أصحاب مالك بأنه لا يقال: رمضان دون تخصيصه ووصفه بشهر، وزعموا أن رمضان اسم من أسماء الله تعالى فلا يطلق على غير الله إلا إذا كان مقيدا، ولعلمهم استندوا في ذلك على الحديث الذي رواه أبو معشر نجيح المدني عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعا (لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان). وهذا الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل، وضعفه بأبي معشر قال البيهقي: قد روى عن أبي معشر عن محمد بن كعب وهو أشبه، وروى عن مجاهد والحسن من طريقين ضعيفين.

**الثاني:** ما ذهب إليه ابن الباقلائي وكثير من الشافعية إلى أنه إن كان هناك قرينة تصرفه

إلى الشهر فلا يكره، وإلا فيكره، قالوا: فيقال، صمنا رمضان، قمنا رمضان، أفضل الأشهر، ويندب طلب ليلة القدر في أواخر رمضان وأشباه ذلك، ولا كراهة في هذا كله، وإنما يكره أن يقال: جاء رمضان ودخل رمضان، وحضر رمضان وأحب رمضان ونحو ذلك. أهـ.

الثالث: ما ذهب إليه البخارى والمحققون، وهو أن لا كراهة في إطلاق رمضان بقريئة وبغير قريئة، قال النووى: وهذا المذهب هو الصواب والمذهبان الأولان فاسدان، لأن الكراهة إنما تثبت بنهى الشرع ولم يثبت فيه نهى وقولهم: أنه اسم من أسماء الله تعالى ليس بصحيح، ولم يصح فيه شيء وإن كان قد جاء فيه أثر ضعيف، وأسماء الله توقيفيه لا تطلق إلا بدليل صحيح، ولو ثبت أنه اسم لم يلزم منه كراهة، وهذا الحديث المذكور فى الباب صريح فى الرد على المذهبين، ولهذا الحديث نظائر كثيرة فى الصحيح.

وقد ترجم البخارى فى صحيحه ولهذا الحديث بقوله: باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان، وأشار بهذه الترجمة إلى حديث أبى معشر السابق وهو ضعيف، واحتج البخارى على جواز المسألة بعدة أحاديث، وقد ترجم النسائى لذلك أيضا فقال: باب الرخصة فى أن يقال لشهر رمضان رمضان ثم أورد حديث أبى بكر مرفوعا: (لا يقولن أحدكم صمت رمضان ولا قمته كله) وحديث ابن عباس (عمرة فى رمضان تعدل حجة).

قال الحافظ ابن حجر: وقد يتمسك للتقييد بالشهر بورود القرآن به حيث قال: (شهر رمضان) مع احتمال أن يكون حذف لفظ شهر من الأحاديث من تصرف الرواة، وكأن هذا هو السر فى عدم جزم المصنف بالحكم أهـ.

ومما سبق يتبين لنا أن البخارى والنسائى، يقولان بجواز اللفظين جميعا، والذى نراه هو أن لكل أسلوب مفهوما، يتضح به المراد، وليس معنى ورود (رمضان) فى القرآن مضافا إليه (شهر) أن هذا لازم له فى جميع الأحوال، فإن لكل مقام مقالا، فالمقام فى الآية الشريفة يقتضى التعبير هكذا (شهر رمضان) وذلك لأن المراد بيان ما أنزل فى بعض أيام الشهر وهو القرآن الكريم كما هو مستفاد من قوله تعالى ﴿الَّذِى أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ﴾<sup>(١)</sup>، فورد رمضان فى الآية بالتقييد بشهر، لأنه أراد هنا الظرفية، ولم يجر مجرى المفعولات،

(١) سورة البقرة ١٨٥ (سبق تخريجه).

وزال العموم عن اللفظ، فالمراد هو بيان ما أنزل فيه وفي بعض أيامه ولياليه، وليس في جميع أوقات الشهر فلذا كان أبلغ تعبير أن يقيده بما يفيد ذلك بقوله (شهر رمضان) وأما في سائر الأحاديث النبوية التي يراد بها العمل في الشهر كله وصيام جميع الشهر فإن التعبير فيها جاء بدون التقييد بكلمة شهر كما في الحديث الذي معنا وغيره من الأحاديث الأخرى، ومن ذلك:

١- ما رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد من حديث جابر:

(من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فذاك صيام الدهر).

٢- وعن ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال (من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها رواه ابن ماجه).

فنرى أنه قال في الحديث الأول، وفي الثاني (من صام رمضان) ولم يقل (شهر) وذلك للدلالة على استغراق جميع أيام الشهر بالصوم. وقال سيبويه: «ومما لا يكون العمل إلا فيه كله المحرم وصفر يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله، وذلك إذا قلت الأحد أو الإثنين فإن قلت يوم الأحد أو شهر المحرم كان ظرفاً، ولم يجرى مجرى المفعولات، وزال العموم من اللفظ لأنك تريد في الشهر وفي اليوم، ولذلك قال عليه السلام: من صام رمضان ولم يقل شهر رمضان ليكون العمل فيه كله» أ.هـ.

### ما يؤخذ من الحديث

١- جواز أن يقال رمضان دون ذكر الشهر بلا كراهة.

٢- بيان ما لشهر رمضان من منزلة جلية في الإسلام، وأنه أفضل الشهور عند الله تعالى.

٣- استدلال بعض العلماء بهذا الحديث على أن الجنة في السماء وفي هذا نظر.

٤- مضاعفة الأجر وتنزل الرحمة من الله تعالى إلى عباده الصائمين المخلصين في صيامهم.

٥- حث الهمم واستنهاضها إلى اغتنام الأوقات المباركة بكثرة العبادة وصنائع المعروف، والزيادة من الطاعة، لا سيما في رمضان.

## فريضة الحج

الحج، لغة: القصد. وشرعا: قصد البيت الحرام للنسك، أو هو كما عرفة البعض: أعمال مخصوصة تؤدي في زمن مخصوص ومكان على وجه مخصوص. وهو فرض على كل مسلم ومسلمة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup> وهو واجب مرة واحدة في العمر، لقول الرسول ﷺ: «يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل: أكل عام يارسول الله» فسكت ﷺ حتى قالها ثلاثا، فقال عليه الصلاة والسلام: لو قلت نعم لوجبت ولم استطعتم». وشروط وجوبه: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية والاستطاعة وأركانه: الإحرام، والطواف، والسعى بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة.

أما العمرة: لغة فهي، الزيارة. وشرعا: زيارة البيت الحرام على وجه مخصوص. قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> ويشترط في العمرة ما سبق في الحج من الشروط، وأما أركانها فهي: الإحرام، والطواف والسعى بين الصفا والمروة، وقيل إن العمرة واجبة. وقيل: أنها مستحبة، وللإمام الشافعي فيها قولان: أصحابها الوجوب. ولا يجب الحج ولا العمرة إلا مرة في العمر، إلا إذا نذر المسلم فيجب عليه الوفاء بنذره، وقال الشافعي وأبو يوسف وجماعه: أن الحج يجب على التراخي إلا أن ينتهي إلى حال يظن فواته لو أخره، وقال أبو حنيفة ومالك وغيرهما: يجب على الفور. وقد دل على وجوب الحج الكتاب والسنة والإجماع وأصبح معلوما من الدين بالضرورة فمنكره كافر خارج عن الإسلام. وهو من أفضل العبادات، وأعظم الأعمال تقربا إلى الله كما جاء في الحديث.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ حَجٌّ مُبْرُورٌ. وهكذا يبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه منزلة هذه الفريضة الجليلة بين الأعمال الفاضلة في الدين، فلئن كان أفضل الأعمال، «الإيمان بالله ورسوله» - وهو يعنى التصديق

(١) سورة آل عمران ٩٧.

(٢) سورة البقرة ١٩٦.

والعمل بكل ما أمر به الله ورسوله ومن بينها الجهاد والحج - فإنه حين يسأل عما يلي ذلك من عمل في الأفضلية يشير إلى الجهاد في سبيل الله ثم الحج المبرور، وذلك لمزيد العناية بهما، ولتوجيه النظر إلى ما ينطوى عليه كل من الجهاد والحج من فضل عظيم، ومثوبة كريمة وجزاء أوفى عند الله سبحانه وتعالى.

والحج المبرور. هو المقبول الذي وفيت أحكامه ووقع على الوجه الأكمل فلا رفت ولا فسوق ولا جدال فيه. قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَكَرَّوْذُوا فَأِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّفْوَى وَتَقْوَى يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>...

وفى الحج المبرور صفاء روحى، وبراءة من الذنوب صغيرها وكبيرها لأن المسلم فى أدائه لتلك المناسك يتخلص من شهوته، ويتجرد من زينته ويهرول إلى ساحة الغفران والرضوان بنفس طاهرة، وقلب منيب، يتوب إلى ربه التوبة النصوح، وتشرق فى روجه ومضات الإيمان الصادق فيستشعر اللذة الروحية، ويحس الأمل فى الله، والرجاء العظيم فى جناب رحمته.

فحين ترتعش شفتاه الضارعتان على دقات قلبه الطاهر الخفاق فينتفض كل إحساس فيه بمناجاة عذبة، ونداء دافىء يصيح ملء روجه: «لبيك اللهم لبيك...» مستجيباً لله ولرسوله إذا دعاه لما يحببه حين يصل المسلم إلى تلك الدرجة من الصفاء الروحى لا يبقى على جسده إثم ولا على حياته غشاوة لأنه انغمس فى طهارة قدسية وتجاوبت أصداء روجه مع نسمات الإيمان الكامل فكأنه مولود جديد لا ذنب يدنسُه ولا عيب يلتصق به.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

وفريضة الحج هى إحدى أركان الإسلام الخمسة تجب على من توافرت له شروط الاستطاعة قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> ويشترط لتحقيق هذه الاستطاعة: أن يكون المسلم سليم البدن غير مريض وألا تكون لديه موانع

(١) سورة البقرة ١٩٧.

(٢) سورة آل عمران ٩٧.

حسية وأن يكون ما لديه من مال فائضا عن حاجته الأصلية وأن يكون ما يحج به من مال فائضا عن نفقه من تلزمه نفقتهم مدة ذهابه وإيابه ويشترط أيضا أن يكون الطريق مأمونا. واشترط الأحناف والحنابلة زيادة على ذلك: - بالنسبة للمرأة - أن يكون معها زوج أو محرم بالغ عاقل إذا كان بينها وبين مكة مسافة سفر لما رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم إلا معها ذو محرم»، ويقول ابن عباس: سمعت رسول الله يقول: لا يخلو رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر امرأة إلا ومعها ذو محرم فقام رجل فقال: يا رسول الله إنى كنت فى غزوة كذا وانطلقت امرأتى حاجة، فقال النبي: انطلق فاحجج مع امرأتك وحيث تتحقق هذه الشروط فليس للمسلم أن يتراخى عن أداء هذه الفريضة الجليلة بل يجب عليه أن يعجل بها لأنه لا يضمن عمره، قال عليه الصلاة والسلام «من أراد الحج فليعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الضالة وتعرض الحاجة».

وإذا ما استجاب المسلمون المستطيعون لنداء ربهم سبحانه وهبوا لأداء هذه الفريضة راحلين إلى بقاعها المقدسة تاركين الأهل والديار والوطن والأحباب فهم وفود الله سبحانه وزواره وأضيافه يسيرون فى عنايته، وتحذوهم رعايته، وهم فى حمى الله وأمانة فى حلهم وترحالهم، مضمون على الله أن قبض واحد منهم أن يدخله جنته، وأن رده إلى اهله رده بأجر وغنيمة.

روى ابن جريح عن جابر عن النبي ﷺ قال: «هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده إلى أهله رده بأجر وغنيم».

وهؤلاء الوفود الأبرار جعل الله سبحانه دعاءهم مقبولا لا يرد واستغفارهم يصعد إلى السماء فيغفر الله لهم، ويتوب عليهم وتتجاوب مع أصداء أنفاسهم الطاهرة المبرورة ومضات الإشراق والظهر فى عالم القداسة والنور، وتتفتح لدعواتهم البريئة، وضراعاتهم المنيبة أبواب السماء، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم» كما جعل سبحانه وتعالى جزاء الحج المقبول جنته عن بريده أن النبي ﷺ قال: الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وقال عليه الصلاة والسلام: «العمرة للعمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

والبيت الحرام الذى يقصده المسلمون استجابة لنداء ربهم سبحانه هو أول بيت وضع للناس كما حدده القرآن الكريم زمانا، ومكة كما حدده أيضا مكانا ففيه من عظيم الآيات والهدى ما يجعل من دخله آمنا مطمئنا وتيسيرا من الله لعباده لم يوجبه إلا على المستطيع كما لم يجعله إلا مرة واحدة فى العمر بها يسقط عن المكلف الفرض أما من جحد الحج ولم يؤمن بفريضة تلك الفريضة فإن الله غنى عنه قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾<sup>(١)</sup>.

ولمكانة هذا البيت العظيمة ناط الله سبحانه بزواره عزا فى الدنيا والآخرة فإنه يمهد لأسباب الرزق ويفتح أبواب الخير فينفى الفقر والذنوب عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة» رواه الترمذى وصححه، كما جعل النفقة فى الحج مثل النفقة فى سبيل الله عن بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله الدرهم بسبعمائة ضعف».

ولتلك الأسرار الكريمة، والمثوبة البالغة التى تتضمنها تلك الفريضة كان على المسلم أن يتحرى بكل دقة وأمانة المال الحلال الذى لا تشوبه أدنى شائبة، أو أقل شبهة حتى يكون مقبولا.

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: إذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله فى الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال، وراحتك حلال، وحجك مبرور غير مأذور، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز فنادى لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام، وحجك مأزور غير مأجور.

ومن خلال مناسك الحج تنبثق الروحانيات الكريمة التى تشع فى قلب المؤمن معانى سامية، وإشراقات تبعث الراحة والأمان، والطمأنينة والانشراح أنه من أول لحظة يحرم

(١) سورة آل عمران ٩٦ : ٩٧.

فيها ويصيح ملبيا ربه سبحانه فقد دخل في المناجاة الطيبة واستجاب بتلبيته إلى نداء ربه سبحانه إذ يقول: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾<sup>(١)</sup> فهو يتجرد من لباس الدنيا وزينة الحياة وزخرفها، ويلبس ازاره، ورداءه وينتظم تلك الصفوف من المسلمين الذين ارتدوا جميعا هذا اللباس الواحد في هيئة بيضاء واحدة لا فرق بين غنى أو فقير ولا بين رئيس أو مرؤوس فالكل سواء ضمتهم وحدة دينهم في مظهرهم وفي مخبرهم وفي صرخات قلوبهم وهي تجار بنداء واحد في وقت واحد لرب واحد سبحانه وتعالى...

وفي طوافهم بالبيت يتشبهون بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين برحمته ومغفرته، فهو حين يستلم البيت، يبائع خالقه سبحانه واضعا يده على الحجر الأسود فهو يمين الله يصافح بها خلقه ليفي حق الوفاء بتلك المبايعة متعلقا بأستار الكعبة تعلق المذنب بثياب من أذنب إليه راجيا منه العفو طالبا منه الرحمة والرضوان.

وفي السعي بين الصفا والمروة تذكر وتدبر لما ينعم به الله سبحانه على عباده من فرج ويسر بعد ضيق وعسر، كما أنه رجاء مخلص يصعده صاحبه راجيا أن ينظر إليه ربه بعين الرحمة، والسعي هذا من شعائر الله قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فإنه يضاهاى تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى إظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة، كالذى دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذى يقضى به الملك في حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم فى الثانية إن لم يرحمه فى الأولى وليتذكر عند ترده بين الصفا والمروة ترده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة، وليمثل الصفا بكفة الحسنات، والمروة بكفة السيئات وليتذكر ترده بين الكفتين ناظرا إلى الرجحان والنقصان، مترددا بين العذاب والغفران.

أما الوقوف بعرفة فهو أهم ركن فى هذه الفريضة كما يقول الرسول ﷺ «الحج عرفة»، وفى يوم عرفة تخنس كل وساوس الشيطان وتنطفئ هواجسه، فيرى حقيرا ومدحورا. وقال ﷺ: «مارئى الشيطان فى يوم أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أغيب منه يوم عرفة».

(١) سورة الحج ٢٧.

(٢) سورة البقرة ١٥٨.

إنه لموقف ضخم فى يوم مشهود يقف فيه الناس جميعا لا فرق بين إنسان وإنسان مظهر واحد ومكان واحد يدعون ربا واحدا، فينتظم دعاؤهم الحار المصعد إلى السماء فى نشيد روحى عذب يهتفون به فى نفس واحد مليين ومستغرقين، وراجين رحمة ربهم فيستشعرونها تنزل عليهم من عند ربهم سبحانه وتعالى. ويتذوقون حلاوة المناجاة فى طهارة وبراءة حيث ارتفعت الأصوات، على اختلاف اللغات ترتعش بالرجاء وتتماوج بالأمل، وإنهم ليتذكرون فى هذا الموقف موقفهم يوم القيامة واجتماعهم بأنبيائهم وأئمتهم واقتفاء كل أمة بنبيها طمعا فى الشفاعة ورغبة فى فضل الله رب العالمين.

وأما رمى الجمار ففيه طرح لوساوس النفس ومقاومة منتصرة لنزعات الشيطان رجما له وإرغام أنفه بامتنال أمر الله تلبية وتعظيما استجابة لأمره دون أن يكون للنفس أو العقل حظ فيه ويقول أبو حامد الغزالي فى هذا الموقف: القصد منه الإنقياد للأمر إظهاراً للرق والعبودية وإنتهاضاً لمجرد الامتنال من غير حظ العقل والنفس فيه، ويبين أيضا القصد برمى الجمار قائلا: التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتته بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرمية بالحجارة طردا وقطعا لأمله.

وهكذا نرى أن ما تعطيه مناسك الحج من قيم، وما تنطوى عليه من أسرار وروحانيات نرى كل هذا جديرا بالوقوف عليه والاعتبار به والسير على هديه القويم، فإن هذا اللقاء الروحى الكبير يشكل أعظم مؤتمر إسلامى عالمى أعضائه وفود الله وزواره، وضيوف بيته وعماره، وحق على المزور أن يكرم زائرته وفيه تتلاقى القلوب على المحجة البيضاء، يشع صفاء الاخوة بينها فتعمل جاهدة لصالح العباد والبلاد «ليشهدوا منافع لهم...» فى أمر دينهم وفى أمر دنياهم، وفى هذا تحقيق للنصر الكبير على عدو البلاد بالجهاد فى سبيل الله، وتحقيقا للنصر الأكبر على النفس بجهادها، والنصر فى كل أبعاده، وشتى مجاليه لا يكون إلا انبثاقا من الدين، وانطلاقا من الإيمان، الصادق الذى به يتحقق وعد الله سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) ﴿١﴾

□□□

(١) سورة الروم ٤٧.

## التعليم ومحو الأمية

إن حق العلم والمعرفة والقراءة من أهم الحقوق التي صانها الإسلام ودعا إلى تحقيقها للفرد والأسرة المجتمع.

وفى سبيل تحقيق طلب العلم، قاوم الإسلام الجهل والامية، ودعا إلى العلم والمعرفة، وكانت أولى آيات القرآن نزولا تدعوا إلى القراءة والعلم والمعرفة، فى هذا البحث توضيح لدعوة الإسلام إلى العلم ومقاومته للجهل والامية.

□□□

## الدعوة إلى حق التعليم

التعليم فى الإسلام حق من حقوق المسلم، بل فريضة أوجبها الإسلام فى الحديث الشريف يقول الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»<sup>(١)</sup>. وفى ظل الإسلام تبوأَت الإنسانية مكانتها المرموقة، وعاشت وليس على عينها عصابة، ولا فى قلبها غشاوة، وانطلقت فى حياة خصبة ممتلئة، وفى مجالات رحبة تشرق بالنور والأمل غير متعثرة الخطى، ولا حائرة الفكر لأن لديها من رصيدها الإيماني علما ثابت الأصول ومعرفة نابضة بالخير والإصلاح فأمنت الإنسانية المؤمنه من مزالق الضلالة، ومن تخبطات الجهالة، يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكنم بهما كتاب الله وسنتي»<sup>(٢)</sup>.

وقد نزل القرآن الكريم بقوانين السعادة والإصلاح والرشد والفلاح فأطفأ لهيب الجهل والظلم وأضاء الحياة بالعلم والعدل وبيث فيها روح الإخلاص والحق، وكانت أولى آيات التنزيل دعوة صريحة للعلم والمعرفة على أساس الإيمان الحق بالله الذى علم الإنسان ما لم يعلم قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾<sup>(٣)</sup>.



(١) رواه ابن ماجة وابن عبد البر فى العلم عن أنس.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرک.

(٣) سورة العلق من ١ : ٥.

## التحصيل والتبليغ

وليس العلم حصيلة يحتويها العالم ولا يطالع بها أمته أو يرشد بها الناس وإنما العلم فى الإسلام فريضة إذا قال بها المسلم وتعلم فلا بد أن ينفع غيره، ويعلم الناس وينذر قومه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup> ولقد حث الرسول صلوات الله وسلامه عليه على طلب العلم وتبليغه عن ابن شهاب قال: قال حميدو عبدالرحمن سمعت معاوية خطيبا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وإنما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله»<sup>(٢)</sup>.

فالعلم فى الإسلام أخذ وعطاء وتعلم وتعليم ودعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن. قال سبحانه: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٣)</sup>، وهو أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وتقوية للإيمان والاستمرار فى مواصلة مسار الإصلاح والخير. وبهذا تتبوأ الأمة الإسلامية مكانتها كخير أمة أخرجت للناس قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وتحصيل العلم ونشره لابد فيه من الأمانة العلمية فى الحفاظ عليه خاصة إذا كان فى الدين سواء كان من القرآن أو من السنة الشريفة فلا بد من الأمانة والضبط والإتقان فى التبليغ فيؤدى المسلم ويبلغ كما سمع، قال ﷺ: «نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة التوبة ١٢٢.

(٢) رواه أحمد وغيره.

(٣) سورة النحل ١٢٥.

(٤) سورة آل عمران ١١٠.

(٥) رواه أحمد والترمذى.

ولقد اصطفى الله سبحانه وتعالى رسوله عليه الصلاة والسلام ليبلي الرسالة الإلهية للناس جميعاً، ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ولذا فقد أعدّه إعداداً كاملاً فرباه بعنايته وكلاه برعايته وعصمه من الناس وعلمه ما لم يكن يعلم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١).

### المنهج المثالي

وقد نهج رسول الله صلوات الله وسلامه عليه منهجاً مثالياً يجب أن يقتدى به كل الموجهين والمعلمين والمصلحين إنه منهج القرآن الذي يأخذ الناس بالتدريب في التوجيه والتعليم وفي انتزاع الشر والباطل وفي العمل على غرس أصول الحق والهدى. لقد كان صلوات الله وسلامه عليه يفتي كل سائل ومستفسر فيما يسأل عنه في كل زمان وفي كل مكان حسبما اتفق في الحل والترحال وفي المسجد وهو المكان المتعارف عليه. كما كان يتبع معهم أسمى الطرق في التعليم فيتخولهم بالموعظة كراهة السامة عليهم ويتوخي مخاطبتهم بلغاتهم ولهجاتهم وعلى قدر عقولهم متواضعاً معهم حلماً كريماً، وبلغ من حرصه الشديد على تحصيل ما يقوله وحفظه وفهمه أن كان يكرر القول ثلاثاً حتى يفهم عنه وأحياناً يطرح المسألة على المسلمين ليختبر أفهامهم وذلك أدعى لتثبيت المعلومات في العقول وجذب انتباههم ويتحرى أن يكون التدريس والتعليم في الوقت المناسب وبما يتلائم مع العقول، وفي الظروف التي يتسنى للمسلمين أن يحضروا فيها وتكون عقولهم واعية ويقظة.

### القدوة في التعليم

وإذا كان لا بد للعلم والتعليم من أساس ثابت يتمثل في الكتاب والسنة ولا بد مع التحصيل من تبليغ، ولا بد من أمانة. ثم لا بد من منهج سليم يتبعه العلماء والمتعلمون حتى

(١) سورة النساء ١١٣.

يثمر العلم. ويؤتى التعليم ثماره ونتائجه فإنه يبقى أمر هام هو القدوة فى التعليم والقدوة الحسنة إنما تتمثل فى أبهى صورها وفى أسمى مظاهرها فى الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فقد كان فى حلمه وعلمه وصبره وسعة صدره يسع الناس خلقه الكريم وسجاياه الحميدة مما جعل الناس يقبلون عليه ويستمعون إليه، قال تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(١)</sup>. وقد وجه الله سبحانه وتعالى رسوله عليه الصلاة والسلام أن يدعوه: «رب زدنى علماً». هذا هو موقف الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهو القدوة الحسنة ولنا فيه الأسوة كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك نخلص إلى أن العلم لا يصل إلى نهايته أحد، ومهما بلغ العلماء فى علمهم والباحثون فى بحثهم فإن المجهول كثير، والغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه... قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وما دام الأمر كذلك فيجب على كل مشغول بالعلم - تعلموا أو تعليما أن يكون لين الجانب متواضعا متحمليا بكمات الأخلاق وحسن المعاملة والمعاشرة والألفة حتى يصل إلى طلبته ويحقق جوهر الرسالة التى نيطت به، فللعلم منزلته العالية فى الإسلام وبمقدار هذه المنزلة تسمو مكانة العالم والمتعلم قال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾<sup>(٤)</sup>... فبالعلم يصل الإنسان إلى مراقبة الله وخشيته، وبالعلم تتحقق أعظم غاية هى أساس العبادات والمعاملات وصلات الناس بربهم وبالعالم الذى يعيشون فيه. تلك العقيدة الصحيحة التى تتمثل فى توحيد الله سبحانه وتعالى أنها الحقيقة القرآنية الكبرى التى شهد بها رب العالمين وشهد بها الملائكة المقربون وشهد بها أولو العلم، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٥)</sup>. وعلى

(١) سورة آل عمران ١٥٩.

(٢) سورة الأحزاب ٢١.

(٣) سورة النمل ٦٥.

(٤) سورة فاطر ٢٨.

(٥) سورة آل عمران ١٨.

هذا النحو تتضح لنا أهمية العلم كهدف من أهداف الرسالة الإلهية، قال جل شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وللقدوة أثرها البالغ وأهميتها وفعاليتها في المتعلمين والشباب خاصة إذا طبقت المبادئ التي يتعلموها تطبيقاً بين الجميع فلم تعد مجرد نظريات جامدة أو أفكار هادمة لا حركة تدفعها ولا حيوية تنبعث منها فلا بد من التطبيق العملي فإذا تحدثنا عن الصلاة قمنا إليها مسرعين وإذا تحدثنا عن الزكاة كنا أسبق المتصدقين، وإذا تحدثنا عن مكارم الأخلاق تعاملنا بها مع الجميع وبذلك تشرق البيئة الإسلامية بمثاليات، لها واقع، ولها أصالة وعمل.

### وحدة التعليم الديني

وإذا كانت مناهج التعليم تختلف في بعض البلاد الإسلامية عن بعضها في بعض المواد والدروس والمناهج فلا يصح أبداً أن تختلف في التعليم الديني ودراسة المواد الإسلامية فالإسلام هو الإسلام في عقيدته وعباداته ومعاملاته وسائر أحكامه وآدابه فإذا ما اتفقت سائر البلاد الإسلامية على خطة موحدة في التعليم الديني ودراسة مراحل التعليم من المرحلة الأولى إلى نهايتها في المدارس والمعاهد والجامعات بحيث تكون المواد أساسية وأصيلية في جميع الأقطار الإسلامية وبكمية كافية، وتأليف مستساغ يليى حاجة المجتمع ويكون في مستوى الفهم والإدراك لدى كل مرحلة على حساب ما يناسبها كان هذا اعظم نجاح... ويكون هناك لقاءات ورحلات علمية بين علماء البلاد الإسلامية للتعرف على مشاكل الحياة وما يحتاجه شباب الأمة ووضع العلاج لكل مشكلة أو أنحراف وإعطاء القدوة الحسنة بما يشمل عليه السنة الشريفة من قول وفعل وبما يزخر به تاريخ سلفنا من نماذج رائجة على أن يقوم بجوار ذلك منهج تربوي تطبيقي يشارك فيه العالم والمتعلم والأستاذ والطالب والداعية والدعوة وهكذا حتى نستطيع إعداد شباب أمتنا

(١) سورة الجمعة ٢.

(٢) سورة آل عمران ١٦٤.

المسلمة إعداد دينيا سليما، على أساس سليم وحتى لاندع شبابنا للتبعية والامتصاص والتقليل وبذلك يمكن مناهضة كل موجات التحلل السافر التي اجتاحت كثيرا من شباب أمتنا المسلمة ومن هنا نحقق ما ندبنا الله إليه من نصر دينه فيكون نصره الدائم لنا قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وإن العلم فى الإسلام ليس مجرد نظريات تعطى وليس أقوالا تحفظ فحسب وإنما هو تبليغ وتعليم وتطبيق وعمل.

ومن أجل ذلك فالويل كل الويل لمن كتم علما سئل عنه فعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»<sup>(٢)</sup>. هذا إذا كان يعلم ما سئل عنه وكتم علمه. أما إذا كان لا يعلم فلا يصح أن يقول بهواه أو بما لا علم له به. وإنما يقول: الله أعلم، وهكذا كان سلفنا الصالح. عن عبد الله بن مسعود قال<sup>(٣)</sup>: «يا أيها الناس من علم شيئا يعلم فليقل به ومن لم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم». قال الله تعالى لنبيه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

### معادن الناس ومواقفهم من العلم

إن حاجة الإنسانية، إلى العلم والمعرفة، والتفقه فى الدين، لا تقل عن حاجتها إلى الطعام والشراب، إن لم تزد. فبدون العلم والمعرفة وبدون التفقه فى الدين تصبح حياة الناس جامدة هامة - وتصبح ضالة الخطى حائرة القصد غائمة الهدف... فبالعلم تصل الحياة الإنسانية إلى صعيد المعرفة الرحب. وبالمعرفة يقف الأفراد والجماعات على أمور دينهم ودنياهم وما يسعدهم وينير لهم الطريق.

ومن هنا كانت رسالة العلماء والمفكرين والكتاب والباحثين هامة وخطيرة وكانت مهمة

(١) سورة محمد ٧.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

(٣) متفق عليه.

(٤) سورة ص ٨٦.

الدوائر العلمية والجامعات والأكاديميات لها أثرها العظيم في إثراء الحياة بنور العلم والمعرفة، وفي استمرار عطاءها، ونشره ونقله إلى كل جوانب الحياة. وفي نشر نور العلم والمعرفة وإرسال ضوئه إلى كل حياة الناس بعث للحياة وإحياء للعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فإنني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا..

والناس معادن، ولهم مواقعهم من العلم، فمنهم العالم المعلم وهذا بمنزلة الأرض الطيبة التي شربت الماء فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها.

ومن الناس الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداة لغيره. فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به.

ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها<sup>(١)</sup>.

وعن هذه الأقسام تحدث الرسول صلوات الله وسلامه عليه فقال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فنفع به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»<sup>(٢)</sup>.

هذا هو موقف الناس من العلم وما يمثله العلماء والمفكرون والكتاب والباحثون الذين لا يحبسون علمهم في صدورهم ولا يضمنون به على دنيا الناس. إنهم تعلموا وتفهموا وعلموا وفقهوا فكان مثلهم كما جاء في الحديث كمثل الأرض النقية الخصبة التي قبلت الماء واستفادت منه في نفسها، ونفعت غيرها به وأنبتت الكأ والعشب الكثير.

وأما الثانية فأمسكت الماء فانتفع به الغير. وأما الثالثة: فلم يكن لها من حظ في نفع

(١) فتح الباري ج ١، ص ١٧٧.

(٢) رواه البخاري.

ذاتي، ولا نفع للغير.. ومثل الثالثة من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي جاء به رسول ﷺ، فواجب العلماء العمل أولا ثم تعليم الغير، ونشر العلم، فإن موقف طلاب العلم ورواد المعرفة أيضا يختلف من شخص لآخر ومن جماعة لآخرى فمنهم الجاد فى طريق العلم المقبل عليه ومنهم المستحى ومنهم غير الجاد، وغير المقبل.

وتصور السنة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام نماذج طلاب العلم بين الإقبال والحياء والإعراض، ويتخذ رسول الله ﷺ من واقعة حدثت فى مجلسه فى المسجد توضيحا لذلك حين كان الناس معه يعلمهم ويوجههم فأقبل عليه ثلاثة نفر لكل واحد منهم مشربه ووجهته فاتخذ من هذا الموقف صورة لتوجيه المسلمين.

عن أبى واقد الليثى أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس فى المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد. قال: فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا... فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «الا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»<sup>(١)</sup>.

وهناك أمر هام يتعلق بالعلم والإفتاء . ينبغى أن يراعى جانبه كل مشتغل بالعلم أو متصدرا للإفتاء وهو: ألا يقول فى كل شىء برأيه. بل عليه أن يسير على هدى الكتاب والسنة فى كل ما يقول، وألا يتجاسر على التفسير برأيه إذا سئل فى آية من القرآن الكريم مثلا، أو حكم من الأحكام، بل يقول فيما لا يعلم: الله أعلم.

عن مسروق قال: كنا عند عبد الله بن عمر جلوسا وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن تركت فى المسجد رجلا يفسر برأيه هذه الآية: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، فقال يأتى الناس يوم القيامة دخان ف يأخذ الكفار، ويأخذ

(١) رواه البخارى.

(٢) سورة الدخان ١٠.

المؤمنين منه كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان، يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن علم أحدكم أن يقول فيما لا يعلم: الله أعلم. فإن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾<sup>(١)</sup> وبما أرساه الإسلام من أسس أصيلة للعلم والتعليم والعمل قامت خير أمة أخرجت للناس، أمة ذات حضارة عريقة وتراث عظيم.

وقد أخذت الدنيا منها وتعلمت، وشهد بذلك كل مؤرخي الحضارات من الأوروبيين وغيرهم. يقول «بريفولت»: لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن ثماره كانت بطيئة النضج، إن العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب في إسبانيا لم تنهض في عنقوانها إلا بعد مضي وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام، ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد إلى أوروبا الحياة بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية أ. هـ من كتاب (تجديد الفكر الدينى فى الإسلام، محمد إقبال، ترجمة الأستاذ عباس محمود) فما أحوج المجتمعات الإسلامية اليوم أن تمسك على تراثها وتعزز بأمجادها واعية لدورها ورسالتها، فلا تقف موقف الصمت مما يثار حول التراث الذى امتدت آثاره إلى أقصى المعمورة شرقاً وغرباً بل تقف منه موقف الحارس والمستزيد وتعمل على نشر العلم والعمل به والنهوض بالأمة الإسلامية قدماً إلى الإمام.

## مقاومة الإسلام للجهل والامية

الإسلام هو دين العلم والمعرفة فبالعلم يتعرف الناس على خالقهم ودينهم وأمور دنياهم وأخراهم. ولقد كانت أولى آيات الوحي الإلهي، التي صافحت قلب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تدعو إلى العلم، وإلى القراءة، قال الله تعالى ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) سورة ص ٨٦.

(٢) سورة القلم (١-٥).

وهذه الآيات الأولى الداعية إلى العلم والقراءة، تربط العلم من أول وهلة بالله سبحانه وتعالى: فهي قراءة باسم الله ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾<sup>(١)</sup>، وما دام العلم والقراءة باسم الله ومرتبطة به فهو علم نافع وقراءة مثمرة ومعرفة وراءها خير البشرية كلها. ولما كان العلم طريقاً لمعرفة الله والإيمان به، والعمل بشرعه وسبيلاً لإسعاد البشرية وإصلاحها فإن الإسلام قد قاوم الجهل مقاومة كبيرة. ونوّه بالفارق الكبير بين أهل العلم وبين الذين لا يعلمون ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ويحض الإسلام على الخروج في طلب العلم ونشره وتبليغه وتعليمه للناس قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

لقد عرف سلف أمتنا قيمة العلم فأولوه عناية فائقة وقد رأوا خطورة الجهل فراخوا يقاومونه بكل السبل وفي شتى المجالات في الحل وفي الترحال وكانت لهم رحلاتهم العلمية التي نسميها نحن اليوم - بلغة العصر - البعثات التعليمية، ولئن كانت بعثاتنا اليوم تميزت بسبل الراحة الكبيرة، وطرق المواصلات التي اختصرت المسافات الشاسعة فإن رحلاتهم العلمية لم تكن لها هذه الوسائل المريحة، ومع هذا لو قسنا أعمالنا بأعمالهم وعلومنا بعلومهم فإنه لا يسعنا إلا أن نعترف بالتقصير، وأن نُقرّ بضعف الهمة وقلة الطموح.

إننا حين ننظر إلى وسائل الحضارة الحديثة - في المواصلات وفي سفن الفضاء التي قربت البعيد، ووفرت الزمن، ونظرنا إلى وسائلهم الأولية التي كانوا يتجشمون فيها الصعاب ويعانون من وعثاء السفر وشظف العيش لقلنا إن النتيجة الطبيعية أن نكون نحن أكثر إنتاجاً وأغزر تحصيلاً.

ولكن النتيجة بالعكس، وإذا نظرنا إلى دور العلم الحديث، والمدارس والمعاهد والجامعات والأكاديميات، ونظرنا إلى مجالسهم العلمية المتواضعة البسيطة لقلنا إن المتوقع أن تكون أجيالنا كلها في درجة عالية من العلم والمعرفة وليس بيننا واحد لا يعرف القراءة والكتابة ولكن الواقع غير ذلك. ثم إذا نظرنا إلى وسائل الإعلام المتعددة، وإلى طرق التربية والتعليم

(١) سورة القلم ١.

(٢) سورة التوبة، (١٣٢).

المختلفة إلى الترجمات ودور الطباعة والنشر والتوزيع. لقلنا إن مؤلفاتنا أكثر وإن علومنا أغزر... إذا ما الفارق الجوهرى بيننا وبينهم، وما السبب فى هذا الفارق الكبير؟ إن الفارق الحقيقى أنهم انطلقوا لتحصيل العلم وتبليغه من قاعدة الإيمان. ونظروا إليه على أنه دين. وأما نحن فقد نظرنا إليه أو نظر أغلبنا إليه على أنه سبيل للعيش والحياة أو المنصب والجاه وإذا ما وصل إلى نهاية مرحلة ما من مراحل التعليم ظن أنه قد أنهى رحلة تعليمة... نعم قد يترقى البعض إلى شهادة أعلى وقد يواصل البعض بحوثه وقراءته، وكتاباته، ولكنها إذا قيست ببحوث وقراءات وكتابات سلفنا وجدنا أنها قليلة جدا. فأين أعمال الكثير منا بجوار عمل واحد منهم ممن كان يكتب فى اليوم الواحد أكثر من كراسة ويقرأ أكثر من كتاب ويظل دؤوبا على تحصيل العلم، حتى يترك لخلفه مئات الكتب والمراجع، التى لم يزل حتى يومنا هذا ألوف منها مخطوطة ومن حقق بعضها ونشره قلنا: أنه أسدى للعلم يدا كريمة وأخرج إلينا كنزا ثميناً.

وقد يقال: إنهم كانوا متفرغين للعلم والقراءة والكتابة، وأما نحن فقد شغلنا المعاش وسبيل الحياة، ولكن الاعتراض على هذا، والرد عليه بديهى لأنهم ما كانوا يحصلون من علمهم وتعلمهم على أجور كما نحصل والمشتغلون منا بالعلم والتعلم والتعليم، الأغلبية الساحقة منهم إن لم يكن كلهم فجُلُّهم متفرغ للعلم والتعلم والتعليم، فلم يبق إلا أن ننهض بما نهضوا به واضعين نصب أعيننا أن طلب العلم فريضة، وأن كتمان العلم جريمة كبرى وعاقبها أليم، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وأن نعنى العناية الكبيرة بمن ينفرون إلينا لتلقى العلم وتحصيله وأن نستوصى خيرا بمن يهاجرون فى سبيل العلم.. ولقد كانت وصية رسول الله ﷺ بأهل العلم كبير وهامة. عن أبى هارون العبدى رضى الله عنه: قال: كنا نأتى أبا سعيد فيقول: مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الناس لكم تبع وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرضين، يتفقهون فى

(١) رواه أبو داود والترمذى.

الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»<sup>(١)</sup> وإذا كان هذا شأن طلاب العلم فإن شأن العلماء عظيم وحسبهم قول الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٢)</sup> وحسبهم أنهم ورثة الأنبياء، ولقد قاوم الإسلام الجهل في جميع أشكاله، فقاوم جهل الشرك والوثنية والضلال، بالتوحيد والعقيدة الصحيحة وقاوم جهالة التقليد فنعى على أولئك الذين أسلموا عقولهم لغيرهم وتعصبوا لباطلهم، لأنه كان عليه آباؤهم وأجدادهم. وقد حكى القرآن ذلك ونعى عليهم جهلهم وعصبيتهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وقاوم الإسلام جهل الناس بالقراءة والكتابة، وعمل على محو الأمية، وكان الرسول أول من وضع حجر الأساس في محوها حيث جعل فداء بعض الأسرى الذين لا مال لهم أن يعلموا أولاد المسلمين القراءة والكتابة.

عن ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى - يوم بدر - لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة كما جعل الإسلام تعلم القرآن مهراً في الزواج لمن ليس لديه مال فحين طلب بعض المسلمين من رسول الله ﷺ أن يزوجه امرأة. قال له رسول الله ﷺ: فهل عندك من شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله فقال: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً؟ ثم رجع فقال ما وجدت شيئاً. فقال رسول الله ﷺ: «انظر ولو خاتماً من حديد»، فذهب ثم رجع فقال: «لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد ولكن هذا إزارى فلها نصفه» فقال رسول الله ﷺ ما تصنع بإزارك، إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء، فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله ﷺ مولياً فأمر به فدعى فلما جاء قال: «ماذا معك من القرآن؟ قال معى سورة كذا وسورة كذا عددها

(١) رواه الترمذى وابن ماجه.

(٢) سورة فاطر ٢٨.

(٣) سورة المائدة ١٠٤.

فقال: «تقرؤهن عن ظهر قلبك» قال: نعم قال «أذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن»<sup>(١)</sup>. إن القضاء على الجهل وإن محو الأمية ومضاعفة الجهود لخدمة العلم والثقافة الإسلامية لمن أهم ما ينبغي على المسلمين أن يوجهوا إليه عنايتهم، وأن يبذلوا أقصى ما في الفكر الإسلامي والعمل على قيام أكبر نهضة علمية على أيدي المسلمين، وقد أولى الإسلام عنايته الكبرى واهتمامه البالغ بالعلم والثقافة ومحاربة الجهل والأمية، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله، ويرغبون إليه والأخر يتعلمون الفقه ويعلمونه. فقال رسول الله ﷺ: كلا المجلسين خير. وأحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل وإنما بعثت معلما ثم أقبل فجلس معهم. إن العلم نور، وإن العلم أقوى سلاح وهو سبيل الرقي والنهوض والسعادة.

### الدعوة إلى تعليم المرأة

لقد أعطى الإسلام المرأة حقوقا كثيرة بعد أن كانت مهضومة الحق في الجاهلية. لقد منحها الإسلام حقها في الميراث وحقها في التملك وحقها في الصداق. وجعل لها أهليتها في التعاقد وفي إجراء العقود من بيع أو شراء أو رهن أو هبة أو وصية... كما سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في شئون المسؤولية والجزاء. والثواب والعقاب. بمعنى أن المرأة، التي تعمل صالحا وهي مؤمنة لها جزاؤها في الدنيا وفي الآخرة كما قال الله جل شأنه: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> ويقول سبحانه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وسوى الإسلام بينهما في الحدود وفي سائر أنواع الجزاء والعقوبات ففي حد الزنا

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة النحل ٩٧.

(٣) سورة النساء، (٣٢).

وتطبيقه على الرجال والنساء. يقول الله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾<sup>(١)</sup>. وفي حد السرقه يأمر الإسلام بتطبيق قطع اليد للشارق رجلا كان أو امرأة:<sup>(٢)</sup>.  
وكما سوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى ذلك أعطى المرأة حسن التعلم والثقافة وأباح لها أن تتعلم العلم والأدب بل إنه يوجب عليها تعلم ما يتصل بأمر الدين لتقف على معرفة الأحكام ولتحسن القيام بالعبادات وسائر الوظائف فى هذه الحياة. وقد جاء فى الحديث طلب العلم فريضة على كل مسلم<sup>(٣)</sup>. وكلمة: «مسلم» تشمل الرجل والمرأة كما يقول العلماء. ويقول أبو قلابة: «أى رجل أعظم أجرا من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم الله أو ينفعهم الله به ويغنيهم» وفى هذا ما يشير إلى أهمية إعداد الأبناء بما ينفعهم ذكورا كانوا أم أناثا ولم يفرق الإسلام فيما منحه من حق «التعليم» للمرأة المسلمة بين أن تكون حرة أو أمة. بل إن توجيهات الإسلام فيما يتصل بشأن الأمة كانت أكيدة. عن أبى بردة قال: قال رسول الله ﷺ «أيا رجل كانت عنده وليدة - أى جارية - فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»<sup>(٤)</sup>.

وبهذا رغب الإسلام فى تعليم المرأة وحث عليه ووضح ماله من أثر هام ومثوبة كريمة. وإن العلم من الحقوق الأساسية التى لا غنى للحياة عنها بحال من الأحوال فإن شئون المجتمعات الإنسانية لا تنهض على المأكل والمشرب والملبس والمسكن فحسب، فتلك حقوق مادية، أما تلك الحقوق المعنوية والروحية فلها أهميتها فى تسيير الحياة وتنظيم تلك الحقوق المادية الأخرى، ولا يتأتى ذلك إلا بتثقيف القلب والروح وتهذيب العقل وتعليمه، ولقد طبق رسول الله ﷺ مبدأ تعليم المرأة وتثقيفها بما كان يصنعه مع المسلمات من تخصيص يوم لهن يجلس فيه ومن تعليم أمهات المؤمنين.

روى البلاذرى فى «فتوح البلدان» إن الشفاء العدوية وهى سيدة من بنى عدى رهط

(١) سورة النور ٢.

(٢) سورة المائدة، (٣٨).

(٣) رواه بن ماجه.

(٤) رواه البخارى.

عمر بن الخطاب كانت كاتبة في الجاهلية، وكانت تعلم الفتيات. وإن حفصة بنت عمر أخذت عنها القراءة والكتابة قبل زواجها بالرسول عليه الصلاة والسلام. ولما تزوجها عليه الصلاة والسلام طلب إلى الشفاء العدوية أن تتابع تثقيفها وأن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة. والعديد من الشواهد مما يدل على تعلم النساء وظهورهن في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة منذ عصر بنى أمية.

وذكر ابن خلكان أن السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي ابن أبي طالب لها بمصر مجلس علم حضره الإمام الشافعي نفسه وسمع عليها فيه الحديث. وروى ابن المقرئ في كتابه «نفح الطيب» أنه كان لابن المطرف اللغوي جارية أخذت عن مولاهما النحو واللغة ولكنها فاقتته في ذلك وبرعت على الأخص في العروض حتى سميت «بالعرضية»، وإنها كانت تحفظ عن ظهر قلب كتابي «الكامل» للمبرد و«الأمالي» لأبي علي القالي<sup>(١)</sup>.

وإذا تقرر في الإسلام للمرأة هذا الحق فإنه ينبغي أن ينظر إلى قضية تعليم المرأة نظرة عادلة ومثمرة بحيث لا يطغى تعلمها وحققها فيه وما أتاحه الإسلام لها على دورها كزوجة وعلى دورها كأم فهذا هو دورها الأصيل وبين الأمومة والزوجية تكون رسالة المرأة في الحياة وما تعليمها الذي منحها الإسلام لها كحقٍ إلا مكمل وهاجٍ لدورها ورسالتها. ثم إنه إلى جانب ذلك فحق التعليم محكوم بمبادئ الإسلام وآدابه وأخلاقه بمعنى أن المرأة التي تتلقى العلم يجب أن تكون بعيدة كل البعد عن اختلاطها بالرجال الأجانب محافظة على زيتها الإسلامي وعلى احتشامها ووقارها وعفتها الأخلاقية.

ومن ناحية أخرى فإنه لا يقوم واجب على حساب آخر من واجبات الأمومة والزوجية... وهكذا كان النساء في صدر الإسلام فهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق تقول «كنت أخدم الزبير - زوجها - خدمة البيت كله، وكنت أسوس فرسه وأعلفه واحتش له. وكنت أحرص الدلو وأسقي الماء وأحمل النوى على رأسى من أرض له على ثلثي فرسخ، وفي الحديث: ... والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها» رواه البخاري ومسلم وإذا كان

(١) حقوق الإسلام، د. علي عبد الواحد وافي.

الإسلام قد منح المرأة تلك الحقوق السابقة فإنه قد أكد واجبها كزوجة وواجبها كأم وسائر ما يجب أن تقوم به من تربية أبنائها. وكل ذلك في حدود مارسمه الإسلام مما حدده في الكتاب والسنة وفي تاريخ سلفنا بحيث لا تجرفها المدنية الحديثة إلى الخروج عن دائرتها التي رسمها لها الدين.

كما ينبغي أن ننبه إلى حكمة الإسلام العالية في التفريق بين المرأة والرجل في بعض الأمور والحقوق وإن ذلك من صميم العدالة الإلهية اتساقا مع طبيعة كل من الجنسين وخصائصه وتكوينه ودوره في الحياة، وذلك كحقها في الميراث على النصف من نصيب الرجل وغير ذلك مما قرره الشريعة الإسلامية.

□□□

## الدعوة إلى حق الأمان

لا تقوم المجتمعات الآمنة إلا على أساس أصيل يتميز بقوته التي لا تؤثر فيها عواصف الحياة ولا رياح الفتنة ، وإنما يدفع عن نفسه عاديّات الزمن وأطماع الحاقدين والغزاة. وهذا الأساس الأصيل الذي يتميز بتلك القوة ليس سلاحا ماديا يدافع به وليس بناء حديديا يقوى على الزمن والأيام ، وإنما هو أساس روحي وأساس عقدي ألا وهو (الإيمان) إن أثر الإيمان بالله على حياة الأفراد والجماعات وعلى دنيا البشر عموما أثر دونه كل شيء. وكيف لا والإيمان يصنع الرجال الأقوياء والرجولة الصامدة المجاهدة ويفتح أبواب الخير والحق ويشيع بين الناس السلام والأمان. وبدونه مهما قوى البنیان فهو إلى انهيار وبدونه مهما كان السلاح فهو إلى خسران ، وبدونه مهما قويت حياة المجتمع المادية فهي إلى خوف ، وبالإيمان وحدة تكون الحياة الآمنة والمستقرة والهادئة إلا أن الأمن لا يستقر في الحياة ولا تستقر الحياة به إلا عندما تخلو الحياة من الظلم والبغى والعدوان وعندما تصفو الحياة تماما من كل ما لا يتفق مع الإيمان فلا يوجد الأمن في جو الإلحاد ولا يوجد في جو من الظلم وإنما يشرق الأمن حيث يكون الإيمان وينمحي الظلم يقول تعالى : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الذين لهم الأمن ولهم الاستقرار ولهم الحياة الطيبة يشرق بها مجتمعهم ويستشعرها أفرادهم وجماعاتهم هم المؤمنون الذين أخلصوا في إيمانهم ولم يلبسوه بظلم. فكانوا بعيدين عن الشرك ومذاهب الشرك وتياراته وأسبابه ، كانوا بعيدين عن كل ما يطفح بالظلم أو يسير في ركابه أو يلبس ثوبه أو يتقمص صورته ، بعيدين عن الإلحاد والوجودية وعن الشيوعية ، عن كل مذاهب الهدم والدمار وتيارات الغزو الفكري الظالم. روى عن عبد الله قال : لما نزلت ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال أصحابه : وأينا لم يظلم نفسه : فنزلت (إن الشرك لظلم عظيم) وقال صلوات الله

(١) سورة الأنعام ٨٢.

(٢) سبق تخريجها.

وسلامه عليه: (من أعطى فشكر ومنع فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر) وسكت قال فقالوا:  
يار سول الله ماله؟ قال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولننظر إلى تصوير القرآن الكريم للمجتمع الآمن الذى يحيا حياة طيبة فسنجد أنه  
مجتمع يقوم على الإيمان والعمل الصالح يقوم بذلك أفراده ذكورا كانوا أو إناثا.

لقد قطع الله تعالى وعدا للمؤمنين الذين يعملون الصالحات والذين يقومون على أسس  
الإصلاح فى المجتمع قطع الله وعدا بالحياة الطيبة الآمنة السعيدة فى الدنيا لمن جمع بين  
الإيمان والعمل الصالح وأما فى الآخرة فيجزيه الله سبحانه وتعالى بأحسن ما عمله فى  
الدنيا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ  
حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أى جهات كانت والحياة الطيبة بشمولها  
لوجوه الراحة من أى جهة كانت كما يقول المفسرون: إن معنى هذا أنها شاملة للأمن  
شاملة للرخاء شاملة لأسباب السعادة المادية والمعنوية وليس ذلك إلا فى المجتمع المؤمن  
الذى يقيم شريعة الله فى الأرض، وأما المجتمعات الملحدة أو البعيدة عن شريعة الله فإنها  
يتهددها الخوف بدل الأمن والجوع بدل الرخاء، وهذا هو قانون السماء الذى لا يتخلف  
والذى ضرب له القرآن الكريم المثل فى قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً  
مُّطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ  
وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان (الجوع والخوف) قرينى الكفر والإلحاد. كما قرر التشريع الربانى الذى لا  
يتخلف فإن الرخاء والأمن قرينى الإيمان والعمل الصالح أو بالجملة نتيجة (الحياة الطيبة).  
ويقول الله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ

(١) سبق تخريجها.

(٢) سورة النحل ٩٧.

(٣) سورة النحل ١١٢.

خَوْفٍ ﴿١﴾. وفى جو الايمان يآ من المجتمع ويأمن الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم فيحيون حياة طيبة وتقاس مدى قوة الأمن فى المجتمع بمدى قوة إيمان أفراده فكلما كان الإيمان قويا ازدادت درجة الأمن وكلما كان الإيمان ضعيفا قل الاستقرار وانتاب الجماعات والأفراد قلق على حياتهم وخوف على دمائهم وأموالهم وأعراضهم. وكم من مجتمعات بلغت فى الحضارة شأوا بعيدا وارسست من القوانين الصارمة ما لا يحصى، ومع هذا عاش الأفراد فى خوف وقلق ولم يسد الأمن بين ربوعهم ولا الاستقرار فى جنبات حياتهم وما ذلك إلا لخفة الإيمان وضعفه فلم يسد كل كيانهم كما هو الحال فى المجتمعات المؤمنة التى ينطلق من داخل كل فرد من أفرادها وازع الدين وصوت الضمير الدينى ينادى كل إنسان بين الفينة والفينة فتراهم إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون.

إن شعار المجتمع المؤمن هو الأمان (والمؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم) وكل حياة المؤمن فى ظل إيمانه الصادق تفيض خيرا وسلاما ورحمة ونفعا لكل من يحيط به وفى كل ما يتصل به من شئون الحياة والأحياء فإذا شاورته نفعا وجدت وإذا شاركته وجدت نفعا وإذا ماشيته وصاحبته وجدت نفعا فأمره كله خير وخطاه وكل شئونه فيها النفع والأمن والخير. إن المؤمن مصدر خير، وإن المجتمع المؤمن محوط بالأمن. وأن الإيمان يبني بحق المجتمعات الآمنة ويجعل منها مصادر خير ونفع وأمن لكل من يحيط بها من أهل ورحم وأقارب ومن جار أو ضعيف. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمة وليقل خيرا أوليصلت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وينفى الإيمان عن بات سبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم.

ويسأل الرسول ﷺ بعض أصحابه فيقول: لهم: «أتصبرون عند البلاء»؟ قالوا: نعم، قال: «أتشكرون عند الرخاء»؟ قالوا: نعم، قال: «أتثبتون عند الحرب واللقاء»؟ قالوا: نعم، قال: «مؤمنون ورب الكعبة»؟ وإن الجماعة المؤمنة متضامنة على الخير، ويقيمون شريعة الله ويطبقون أحكامه. ولذا كان لهم عند الله منزلة ودرجة كريمة.

(١) سورة قريش ٣ - ٤.

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

□□□

---

(١) سورة التوبة ٧١.

## تهذيب الإسلام للنفس الإسلامية

من أهم الملامح الواضحة في حياة المجتمع المسلم... أنه يعتنق الحق ويسير على ضوئه ويعمل في دائرته. دون أن يكون هناك أي تأثير خارجي عليه، لأنه يؤمن بأن جزائه منوط بعمله فأحسانه لنفسه وإساءته لها.

وقد غرس الإسلام في نفوس الأفراد والجماعات أصول الحق ليتبعوها ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾<sup>(١)</sup>.

وأنا القرآن الكريم الطريق أمام المسلم، مبينا له أنه وحده الذي ينال مثوبة هدايته، وأنه وحده الذي ينال جزاء ضلّاته فلا ينجى اهتداؤه غيره ولا يردى ضلاله سواه، وكل نفس وما حملت من وزرها، فلا تحمل وزر نفس أخرى فلكل استقلاله وجزاؤه على حدة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد نعى القرآن على أولئك الذين وقعوا أسرى العادة والإلف تجافيهم عن الحق وضرب مثلهم بمن ينادى على حيوان يسمع الصوت ولا يفهم له معنى فهم في انهماكهم في التقليد الأعمى ووقوعهم فريسة التبعية البلهاء كمثل الصم البكم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا الصنف من الناس لم يعط نفسه استقلالها ولم يمنحها حريتها في البحث عن الحق، وإنما حبسها بين أسوار التقاليد الموروثة توثقها العادات البالية وتمتحن كرامتها

(١) سورة الإسراء: ٧.

(٢) سورة الإسراء: ١٥.

(٣) سورة البقرة: ١٧١.

وإنسانيتها وقد تابع الإسلام نفسية المسلم فى سلوكها بالتقويم والتهديب لئلا تتأرجح بين مَدِّ الحياة وجزرها فتتدهور قواها المعنوية تابعة كل ناعق ومنادية كل إنسان أنا معك محسنا كان أو ظلما روى الإمام الترمذى بسنده عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ (لا تكونوا إمعه ، تقولون : إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وأن أساءوا فلا تظلموا).

فإذا كان الله تعالى قد أعد المسلم إعدادا حقا ، وهبأه لأسباب الحق والفلاح بما ألهمه من رؤية واضحة للخير حتى يتبعه ، وللشر حتى يئأى عنه ، فليس للمسلم أن يكون إمعه ، ولم تعدله حجة فى تعطيل ما أودعه الله فى حسه ووجدانه .

فكيف به يقف على مفترق الطرق يميل مع رياح الحياة حيث تميل ، لقد سوى الحق النفس وألهمها فجورها وتقواها قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾<sup>(١)</sup>. وفى استقلال النفس الإنسانية حماية لمقومات الحق والخير التى أودعها الله فى الإنسان. فلا يتأثر بالعوامل الخارجية والمؤثرات المحيطة به ، فإذا كان قاضيا أو شاهدا أو مدرسا أو قائما بالإصلاح بين الناس أو مقوما لأعمال البعض أو نحو ذلك من مسالك الحياة التى يرتادها فإن عليه أن ينظر إلى الحق بغض النظر عن أى عمل آخر أو أى مؤثر خارجى . فإذا قام الحكم بين الناس أو القضاء فيهم أو طلب منه أداء شهادة بالحق أو فصل فى خصومة فعليه أن يتحرى جانب الحق والصواب فلا تؤثر عليه صلة قرابة أو نسب أو غير ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكما دعا الإسلام إلى المحافظة على قول العدل دون تأثير بصلة القرابة أو ما يدعو إلى الانحياز فكذلك حذر من أن تكون الكراهية والبغضاء من دواعى الانحراف عن الحق والعدل فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا

(١) سورة الشمس ٧ - ١٠ .

(٢) سورة الأنعام ١٥٢ .

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيَّ ۗ اَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاَتَّقُوا اللّٰهَ ۗ اِنَّ  
 اللّٰهَ خَبِيْرًاۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ ﴿٨﴾ (١).

وأن السلوك الإسلامى يتنافى مع الظلم، فيقيم المسلم العدل ولو على نفسه أو أقرب الناس إليه، ويتنافى مع الباطل فيقول الحق ولو على نفسه ويعدل مع العدو كما يعدل مع القريب والحبیب فهو لا تحكمه تبعیة تهدم شخصيته، ولا يجوز على عقيدته الهوى ولا تتسرب المحاباة إلى داخله إنه يحيا بين الناس قواما بالقسط شاهدا لله ولو على نفسه أو والديه أو أقربائه قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ اَنْفُسِكُمْ اَوْ الْوَالِدِيْنَ وَالْاَقْرَبِيْنَ اِنْ يَكُنْ غَنِيًّا اَوْ فَقِيْرًا فَاَللّٰهُ اَوْلٰىۢ بِهَمَّا فَلَآ تَتَّبِعُوْا الْهَوٰى اَنْ تَعْدِلُوْا وَاِنْ تَلَوْا اَوْ تَعْرَضُوْا فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرًاۢ﴾ (١٣٥) (٢).

ويصون الإسلام الأمة الإسلامية من التأثير بخصائص الغير وأفعاله التى لا تتفق مع روح الإسلام والتى تتنافى مع فضائله، وأما الاستبداد بالرأى أو التمادى فى الخطأ فليس فيه من قوة الشخصية واستقلالها أدنى علاقة بل إن ذلك يتنافى معها تنافيا تاما. فإن الرجوع إلى الحق فضيلة. ولا يوصف من يرجع للحق بأنه فاقد الشخصية بل إنه قوى الشخصية فى ضبط النفس وكبح جماحها والاتجاه بها صوب الحق فلا يتجمد عند الخطأ بل يفتىء إلى الصواب أينما كان.

وكما أن استقلال الشخصية لا يتنافى مع الرجوع للحق فإنه كذلك لا يتنافى مع التعاون ومشاركة الأمة الإسلامية.

فالمراد باستقلال الشخصية ألا يذوب سلوك الفرد فى سلوك الأخر ولا تذوب الجماعة فى جماعة أخرى فلكل إنسان مقوماته وقدراته الخاصة، وحين يسلب هذه المقومات فلا تكون له حريته ورغبته المستقيمة المخلصة. فإنه يقوم حين يقوم بالعمل وهو مسوق إليه ومكره عليه، فلا يستشعر المتعه به ولا يتذوق الرغبة الدافعة إلى إتقانه. ومن ثم يفقد روح النشاط والحيوية، ولا يقبل على العمل بجد وفاعلية، بل يؤدي عمله وهو مكره ومتبرم.

(١) سورة المائدة ٨.

(٢) سورة النساء ١٣٥.

ولو ترك الإنسان بلا توجيه سديد وأطلق لنفسه العنان دون رعاية وضبط، ومن غير حدود فإن ذلك شر مستطير، لما يترتب على سلوكه بلا مقاييس ما يترتب من إطلاق نوازعه النفسية: فتنموا الأنانية والأثرة ويتجاوز الحدود بلا رادع أو ضابط، ومن أجل هذا كله أرسى القرآن للشخصية الإسلامية معالم محددة لا تتعداها، بحيث يجد المسلم ثواب عمله الصالح ويتحمل تبعه إساءته فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾<sup>(١)</sup> هذا بالنسبة للفرد فشخصيته محوطة بدائرة الحق والعمل الصالح... وأما بالنسبة لعلاقته مع الجماعة الإسلامية وعلاقة الناس مع بعضهم فإن تلك العلاقات مع ما وفره الإسلام لها من الاحتفاظ بالمقومات بحيث لا تذوب في الآخرين. فإنه لم يمنع الإنسان أو الجماعة من التعاون والمشاركة، بل أمر بذلك إذكاء لروح التعاون وإبقاء لوحدة الأمة واثراء لها بالعمل المشترك والتضافر المثمر، وذلك يتم في إطار البر والتقوى بعيدا عن الإثم والعدوان كما قال تعالى:-

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾<sup>(٢)</sup>.

□□□

(١) سورة فصلت ٤٦.

(٢) سورة المائدة ٢.

## لاتعارض بين الإسلام والتقدم الحضارى

الإسلام هو دين العلم والمعرفة، ودين التقدم وال عمران لا يأبى - على أتباعه أن - أن يصنعوا لأنفسهم وحياتهم ما يدفع حياتهم قدما إلى الأمام.. بل إن الإسلام أمر بإعداد القوة ليكون المسلمون أقوى من أعدائهم وأقدر على دفع كل عدوان يترصص بهم الدوائر. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(١)</sup> كما أمر الإسلام أتباعه بالسير والنظر فى ملكوت السموات والأرض وما بث الله فى ملكوته من آيات.

وهذه الحضارات الإسلامية التى تبوأَت مكائنها العالمية على ظهر هذا الكوكب الأرضى لم تكن وليدة الصدفة... ولم تنبعث من فراغ، وإنما أخذت وضعها فى المجتمعات الإنسانية لأنها قامت على فكر مستنير استمد أضواء خطاه من ينابيع الإسلام الأصيلة. فلقد منح الله الإنسان عقلا مفكرا يميز بين الحق والباطل وبين الخير والشر. ومنحه العقل أيضا - ليفكر ويتدبر وليبحث وينقب ويكتشف وينجح ويتقدم فى هذا الكون الفسيح.

وإلى جانب هذه المنحة الربانية: (العقل) منح الله سبحانه وتعالى الإنسان سمعا وبصرا وفؤادا وجعله مسئولا عما منحه إياه. فقال سبحانه فى محكم آياته الكريمة: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(٢)</sup> وقد اضطلع رجال أفاضل من أمتنا الإسلامية بمهمة البحث والاكتشاف لقد كان لهم منهجهم التجريبي الذى اعترفت أوروبا ولا تزال بأنها مدينة لهم حتى الآن ومن هؤلاء: الرازى وابن سينا فى الطب، ومنهم: الكندى فى الرياضيات وجابر بن حيان فى الكيمياء وابن الهيثم فى الطبيعة. ويقول الأستاذ بريغولت فى كتابه: «بناء الإنسانية»: ليس «لرجيه باكون» ولا «لفرانسيس باكون» الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب إليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبي فلم يكن «روجيه باكون» إلا واسطة من وسطاء العلم والمنهج الإسلاميين إلى

(١) سورة الأنفال ٦٠.

(٢) سورة الإسراء ٣٦.

أوروبا المسيحية، وهو نفسه لم يمل - قط - من التصريح بأن تعلم معاصريه في أوروبا اللغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة.

تلك كانت نظرتهم وذلك اعترافهم إلى أى مدى أدركوا أهمية اللغة العربية كطريق للمعرفة الحقة. أين هذا من إهمال الكثيرين من العرب للغتهم. وأين هذا من أولئك الذين ينادون للعامية؟ وأين هذا من تلك الأمية الفاشية التي فشلت في العرب ومازالت؟

لقد آن الأوان لأن يقضى على الأمية وأن يأخذ المسلمون طريقهم إلى العلم والمعرفة وإلى الثقافة الأصيلة والحضارة الإسلامية العريقة التي أسسها أسلافنا. إن محو الأمية واجب إسلامي وإن طلب العلم فريضة على كل مسلم.

إن المسلمين إذا ما تأخروا فذلك نتيجة إهمالهم وتفريطهم في تراثهم وليس الذنب ذنب الإسلام فالإسلام حثهم على العلم والمعرفة وأمرهم بالبحث والنظر. والله تعالى جعل لهم الأرض مهذا وسلك لهم فيها سبلا.

وطالما تفشت دعاوى زائفة أثارها أعداء الإسلام في القديم وفي الحديث بغيا منهم وعدوانا زاعمين - كذبا وبهتاناً - أن الإسلام يتعارض مع التقدم الحضارى وأن المسلمين متأخرون...

وقد وضع لنا مما سبق كيف حث الإسلام أتباعه. بل وكيف جعلهم مسئولين عما منحهم به من نعمة العقل والسمع والبصر والفؤاد.

وكما انطلقت دعاوى أخرى تقول بضرورة أخذ الحضارة الحديثة بحذافيرها ودعوات ينادى أصحابها برفض الحضارة الحديثة، وآخرون يرون أنهم معتدلون فيأخذون منها الصالح ويتركون غيره، ولكنها آراء إذا طرحت على بساط البحث والمناقشة لا يبقى منها شيء. فالقول بأخذ الحضارة الحديثة جملة مرفوض لأن فيها ما ليس بصالح. ولأن فيها ما يتعارض مع روح أمة لها شخصيتها ومكانتها. والقول بتركها جملة لا يتفق أيضا بحال إذ أن هناك أشياء في تلك الحضارة أصبحت من ضرورات الأفراد والجماعات والقول بأخذ الصالح منها أيضا مرفوض. لأن تحديد الصالح وغير الصالح سيختلف من عقل لعقل ومن فكر لفكر ومن بيئة لبيئة... ونقف بعد ذلك لنقول: فما الحل؟

والإجابة على هذا: أن في الإسلام كما سبق نهوضا وتقدما وأن العقل الإسلامى يدين له العالم الحديث بحضارته. فليسر الفكر الإسلامى وليأخذ مسيرته المباركة موصولة من الخلف بالسلف. وليس فى الإسلام تعارض بحال من الأحوال مع الحضارة والتقدم والنهوض. بل إنه أمر بالسير والنظر والعلم والمعرفة كما سبق فالحضارة المادية والحياة العملية بمخابرها وأدواتها ومعاملها وصناعاتها لاتتنافى مع الإسلام بل تتفق معه ويدعو إليها أما ما يتصل بالفكر والثقافة: فإن لنا أصول ثقافتنا التى تركز على الوحي الإلهى فيما يتصل بالشئون الدينية.. وقبول الفكر البشرى وما صنعه العقل المادى فى هذا الصد قابل للخطأ والصواب ومن حاول أن يأخذ من غير أصول الإسلام ضل. وما تسرب الغزو الفكرى إلى البيئة الإسلامية إلا عن طريق فترات الضعف التى انتابت الأمة فترات وفترات.

- أيضا - عن طريق الذين خدعوا بكل فكر جديد براق وجروا يلهثون وراءه باسم الحضارة والمدنية.

إن القرآن الكريم دستور حياة كفل للبشرية سعادتها دنيا وأخرى فمن حاول التقدم عن غير طريقه ضل ضلالا مبينا، وفى الحديث: ( ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله).

إن فى القرآن والسنة غناء للفكر الإسلامى وللثقافة الإسلامية يقول الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥١) وقد رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبول أى شىء يخرج عن دائرة هذين الأصلين ليضع بذلك مناهج الحياة الثقافية الإسلامية الصحيحة.

روى الإمام أحمد عن جابر رضى الله عنه: أتى سيدنا عمر بن الخطاب النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبى صلى الله عليه وسلم قال: فغضب وقال: («أنتهوكون أى - تتشككون - فيها يابن الخطاب، والذى نفسى بيده جنتكم بها بيضاء نقيه لا تسألوهم عن شىء فيخبرونكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى»).

(١) سورة العنكبوت ٥١.

## منهج الإسلام فى بناء المجتمع

إذا كان منهج الإسلام، فى بناء المجتمع قد تدرج من حفظ حرمات المسلم إلى الدفاع عن شخصيته، ثم إلى أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه وارتقى فى بناء شخصيته إلى دور الإيثار إذا كان منهج الإسلام فيما دعا إليه قد اشتمل على كل هذا، فإنه هنا يضع أصولاً هامة على أساسها تتكون الشخصية المثالية، وتأخذ دورها فى الحياة أخذاً وعطاءً وتتوثق صلتها مع الله سبحانه وتعالى ومع المجتمع الإسلامى، وذلك بتقوى الله. وفى تعداد أوصاف المتقين، الذين وصلوا بأعمالهم إلى مراقى الفلاح والذين كونوا بمثالياتهم الفذة ملامح الشخصية الإسلامية، أبرز القرآن الكريم من السمات ومن الركائز ماتدور عليه سعادة الفرد والجماعة من العمل البدنى والعمل المالى والناحية النفسية كالإنفاق وعدم الإضرار، وكظم الغيظ والإحسان يصور هذا قول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرَ اللَّهُ فَاِنَّهُ لَكَنُورٌ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ مَن يُعْمَلُ مِن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتُ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَنَّمِ اللَّهُ الْعَمَلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾<sup>(١)</sup> ... وهكذا أطلعنا هذه الآية الكريمة على خمس سمات إذا تكاملت تكون الشخصية المثالية: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾<sup>(٢)</sup>، فهم سواء فى حالة الرخاء وفى حالة الشدة، وهنا لفتة حكيمة حيث بدأت صفات المتقين بالإنفاق وذلك لسببين: أولاً لمقابلته بالربا الذى نهى الله عنه فى آية سابقة، حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بِرِبَا ضِعْفًا مِّثْقَلِ ذَرَّةٍ ۚ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فإذا كان فى الربا استغلال من الغنى

(١) سورة آل عمران ١٣٣ - ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران ١٣٤.

(٣) سورة آل عمران ١٣٠.

للفقير وانتهاز لحاجته وفاقته لأكل ماله بغير وجه حق ، فإن الصدقة مساعدة للفقير وعوناً له ، لا يبتغى على ذلك جزاء فالإنفاق دليل على صدق الإيمان وبرهان على قوة اليقين.. فلا يجعلهم اليسر فى بطن ولا يوقعهم العسر فى القنوط، فهم لا يقتصرون فى تعاونهم على حالة الرخاء والنعمة بل هم فى الحالين سواء، فلما كان الإنفاق أدل على التقوى وأعظم نفعاً للمجتمع الإنسانى من سائر الأعمال الأخرى استهلكت الآية الشريفة موكب المتقين وملاحح الشخصية الإسلامية بالإنفاق وتنتقل بنا الآيات من جانب الإنفاق والتكافل الاجتماعى إلى الناحية النفسية «والكاظمين الغيظ» فشخصية المسلم تظهر فى قدرته على ضبط النفس وحبس الغيظ بالصبر عندما يهضم له حق ، أو ينال منه أحد ، فيكبح جماح نفسه ولا ينزلق فى الشر ولا يشعل الفتنة... ثم يرقى الإسلام بنفس المسلم ، فبعد أن أطفأ جذوة الشر التى تكاد تندلع وذلك بكظم الغيظ انتقل بالمسلم إلى درجة أسمى فيها معالجة للنفس ، وارتفاع إلى مرتبة أسمى من السابقة فقد يكظم الإنسان غيظه ، ولا يزال فى قلبه شىء من الضغينة أما العفو فيسمح مابقى من الشر حتى يعود القلب نقياً.

وفيما رواه الطبرانى عن عبادة بن الصامت قال رسول الله ﷺ : «ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات ؟ قالوا نعم يا رسول الله ، قال : تحلم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك»... ثم تنتقل الآيات إلى مرتبة أسمى : «والله يحب المحسنين» وإذا كان العفو منزلة فوق العدل ، كان عند بعض العلماء إحساناً وعلى هذا فمعنى «والله يحب المحسنين» أى الذين أحسنوا فى معاملتهم وعفوهم ، وفى هذه الآية كذلك سمة أخرى يبلغ بها المسلم قمة المثالية ، بحيث لا يكتفى بكظمه غيظه أو عفوه فحسب بل إنه يحسن إلى من أساء إليه وقد روى أن بعض السلف غاظه غلام له غيظاً شديداً فهم بالانتقام منه فقال الغلام والكاظمين الغيظ فقال «كظمت غيظى» قال الغلام : والعافين عن الناس قال : عفوت عنك قال : «والله يحب المحسنين» قال اذهب فأنت حر لوجه الله ثم تطوف بنا آيات القرآن فتكشف عن الطبيعة البشرية وأنها عرضة للخطأ والزلل ، وهنا تبدو شخصية المسلم ،

بالمسارعة إلى الرجوع لربه والتوبة النصوح: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> وأن سماحة الإسلام لا تدعهم فى مؤخرة القافلة، بل ترفعهم إلى مصاف التوابين المنيبين، بهذه المعالم المتميزة ترتقى شخصية المسلم، ففي جانب المال ينفق فى السراء والضراء شاكرًا لله على نعمته ويبرهن على صدق عقيدته ولا يخشى من ذى العرش إقلالا، وفى الجانب النفسى يتحلى بضبط النفس وبالغفو عن ظلمه، وبالإحسان إلى من أساء إليه وفى جانب المعصية والمخالفة لا يجعل للشيطان سلطانا عليه، فإذا مسه طائف من الشيطان تذكر فيشق الطريق إلى ربه، ويثوب إلى رشده ويتوب لله الغفور الرحيم. ان شخصية هنا تتغلب على الشيطان، وعلى هوى النفس الأمانة بالسوء وتظل قوية بالله، تسرع بالإجابة إليه.

#### التناصح التزام... بواجب العقيدة:

ومن أهم ما يقوم به المسلم من واجبات تعبيرًا عن عقيدته، والتزاما بواجبات دينه النصيح، إذ أنه فى حب الخير لنفسه أو للغير واجب عليه أن يقبل نصيحة من ينصحه فى الخير، وأن يقوم بنصيحه غيره من الناس وشخصية المسلم فى قبول النصيحة وفى العمل بها تظهر حين يرى ما كان عليه من باطل أو شر ثم يستمع إلى نصيحة أخية المسلم فإذا به يسرع بإجابته، ويثوب إلى الرشده وإلى الصواب ويقطع عن الشر ويقدم على الحق والخير، ويرى أن الرجوع للحق فضيلة وأن التمادى فى الباطل رذيلة إذ ليس معنى شخصية المسلم الجمود على ما هو عليه حتى وإن كان على غير الحق، لا إن هذا الجمود، وعدم الاستجابة للنصيحة هدم لبناء الشخصية ومسوخ للصورة الحقيقية التى ينبغى أن يكون عليها المسلم من معرفة الحق واتباعه، ومعرفة الباطل واجتنابه ولطالما ظلم المستبدون بالرأى مفهوم الشخصية وأسأوا التمثيل بها، فظنوا أن الوقوف عند رأيهم وإن كان غير صواب من معانى الشخصية، فمنهم من دافع عن رأيه وتشبث باقتناعه، وأحس أن فى رجوعه عنه ظهورًا بالضعف أو رميا بالجهل والنقيصة وأما

(١) سورة آل عمران ١٣٥.

شخصية المسلم فى القيام بالنصح ، فذلك بأن يقول الحق ولو على أقرب الناس إليه ،  
وألا يخشى فى الله لومة لائم، إنه يبذل النصيحة لله سبحانه وتعالى ولكتابه ورسوله  
ﷺ والأئمة المسلمين وعامتهم... .

□□□

## الاعتدال بين الحياة المادية والروحية

الإسلام هو دين اليسر والسماحة ، تضمنت تعاليمه القويمة ومبادئه السمحة ما فيه سعادة الناس دنيا وأخرى . وهو دين ينظم العلاقات القائمة بين البدن والنفس ، أو بين متطلبات الجسد وبين الجانب الروحي فى الإنسان.

ففى كل إنسان جانبان أحدهما مادية يتطلب الطعام والشراب والملبس والمسكن والزواج وما إلى ذلك مما جرت عليه سنة الحياة.

والجانب الآخر روحى يتطلب صقل النفس وتهذيب الروح والاتجاه إلى الله يهذب النفس وينقيها ويصل بها إلى مرتبة التقوى كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وغير ذلك من العبادات التى شرعها الإسلام وغير ذلك من الطيبات التى أباحها الإسلام للإنسان حتى يتواءم نظام البدن والروح ولا يحدث هناك تفرقة أو انفصال بينهما.

والغلو فى أحد الجانبين خروج عن سواء السبيل ، والتقصير فى أحد الجانبين تضييع لحقوق يجب أن تراعى ، وإهمال لأوامر لها أهميتها ومنزلتها... ومن هنا كان نداء الإسلام بين المادة والروح معتدلا وقائما على أساس تنظيم العلاقة بين البدن والروح ، وإذا استقام الأمر وانتظمت الحال انتظمت العلاقات الأخرى وأخذ الإنسان طريقه إلى ربه سبحانه وتعالى فى اعتدال لا عوج فيه. وفى انتظام لا غلو فيه ولا تقصير فلا رهبانية فى الإسلام ولا مشقة أو تعب يصيب البدن، ولكنها التشريعات الصحيحة التى أبطلت ما كان عليه البعض من رهبانية وما حاوله البعض من عزل الدين عن الحياة وعندئذ تضل الحياة فإذا عزل الدين عن الحياة ضلت طريقها وتخبطت فى شكوك وأوهام ، فالدين بمبادئه ونظمه وبتعاليمه وقيمه يضىء للحياة طريقها ويبعث فى جوانبها الحياة والأمل ويجعلها دائمة موصولة بالخير الدائم الذى لا ينقطع وبالفضل المستمر الذى لا يتوقف ، وعن تلك الرهبانية التى لم يرعها أهلها تحدث القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿ تَمَّ قَمِينَا

(١) سورة البقرة ١٨٣ .

عَلَىٰ أَثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَفَقِينَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١١﴾

وفى السنة الشريفة تحذير من تلك الرهبانية وترغيب فى إعطاء الجسم حقه من الراحة ومن طبيبات الحياة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن نفرا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم سألوا عن عمله فى السر فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أأكل الطعام وقال بعضهم: لا أنام على فراش فبلغ النبى ﷺ ذلك فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا؟ ولكنى أصلى وأنام وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى. وقال الله تعالى: ﴿وَأَبْغَىٰ فِيمَا ءَاتَىٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (١) وقد وجه القرآن الكريم أنظار المسلمين وقلوبهم إلى حقيقة هذه الحياة الدنيا وأنها لعب ولهو وزينة، والناس فيها متفاحرون ومتكاثرون، ولكن نهايتها إلى زوال وأخرتها إلى فناء فلا بقاء لها ولا خلود فيها وكل ما عليها عرض زائل فليس لإنسان أن يتكالب عليها أو أن يتزاحم على حطامها ويتقاتل على بريقها وإنما الواجب على الإنسان أن يكبح جماح نفسه فيعمل لآخرته وليس معنى هذا أن يهجر دنياه أو أن يتركها ويهملها؟ لا... وإنما يوفق بين دار العمل والتكليف، وبين ما تطلبه دار الجزاء الدار الأخرى التى هى خير وأبقى، يقول الله سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهِيغُ فترنه مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ (٢) وحين يقصر الناس اتجاههم فى الحياة على طلب المال والولد والمنصب فإنهم حينئذ يتجهون اتجاهها ماديا بحتا...

(١) سورة الحديد ٢٧.

(٢) سورة القصص ٧٧.

(٣) سورة الحديد ٢٠.

والإسلام لا يحرم التمتع بالطيبات وينادى بعمارة الحياة بالمال والولد ولكن على شرط أن تكون قائمة على أسس من الفضائل والمثل التي نادى بها. والإسلام لا يحرم طيبات الحياة ولكن ينادى بأن تشرق بالإيثار والبذل والتضحية والإخلاص والتعاون والتساند على البر والتقوى قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (٤٦). وبين الله سبحانه أنه لم يحرم زينته التي أخرجها لعباده ولا الطيبات من الرزق فقال جل شأنه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (١) وأما محاربة الإسلام للمادية الطاغية البحتة فذلك لأنها نأت عن القيم الرفيعة والآداب العالية والمثل الحية وأصبح هؤلاء الماديون المغالون يمثلون نشاطا جامدا خاليا من الروح والمعنى بعيدا عن المبادئ السامية وأصبح هؤلاء الماديون يمثلون حربا على المعاني الإنسانية وعلى الفضائل الكريمة.

إن هؤلاء الماديين قد ضل سعيهم في الحياة ويزعمون أنهم يفعلون فعلا حسنا ويقومون بإصلاح في الحياة، لقد انطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (٢).  
وأما السائررون على نهج الإسلام في اعتداله بين الطرفين بدون إفراط أو تفريط ومن غير غلو ولا تقصير...

فإن الله سبحانه وتعالى يزيدهم هدى على هداهم. قال سبحانه: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ هَدَىٰ لَهُمْ هُدًى وَآلْبَقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ (٣). تلك حقيقة قرآنية لا يرتاب فيها امرؤ ومعه عقله فالمهتدون السائدون على الحياة هم الذين يزيدهم الله هدى وبهم يشرق المجتمع الإسلامى بالمعاني النبيلة الفاضلة، والذين لا تشدهم الحياة الدنيا ولا تجذبهم بزخارفها وهم الذين فطنوا لدورهم في الحياة ومهمتهم السامية في المجتمع

(١) سورة الكهف ٤٦.

(٢) سورة الأعراف ٣٢.

(٣) سورة الكهف ١٠٤.

(٤) سورة مريم ٧٦.

الإنسانى ومن أجل ذلك فهم حريصون على أن يتمثلوا مبادئ الحق. وأن يرتادوا سبيل الخير والإصلاح وهم بهذا كله جديرون بأن يُمكن الله تعالى لهم فى الأرض، وقد رسم القرآن الكريم صورة مشرقة ووضح ركائز التمكين فى الأرض وهى تتركز فى المبادئ الآتية :-

أولاً: توثيق الصلة بالله سبحانه وتعالى، بالقيام بأداء أوامره واجتناب نواهيه، والإعلان عن ذلك إنما يتمثل فى القيام بالصلاة التى هى عنوان الطاعة لله سبحانه وتعالى، فالصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين، وهى تكف صاحبها عن الفحشاء والمنكر كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾<sup>(١)</sup>. وهى الصلة الوثيقة بين العبد وخالقه الكبير المتعال.

ثانياً: ربط الصلة بالمجتمع ونشر وسائل التكافل الاجتماعى تأكيداً وتنمية للعلاقات الإنسانية الفاضلة بين الإنسان، وأخيه الإنسان وعلى قمة هذه العلاقات أداء الزكاة...

ثالثاً: المهمة الكبرى التى تتطلب الغيرة من كل مسلم على دينه ودعوة الغير إلى الرشد والخير بالحكمة والموعظة الحسنة والعمل على نشر فضائل الإسلام ومبادئه عن طريق الدعوة إلى الله ومحاربة المنكر ومقاومة الشر والفساد أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلَيْكُمْ الْأُمُورِ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن ركائز التمكين فى الأرض تعنى القيام بواجب الإنسان المسلم تجاه خالقه سبحانه وتعالى وتجاه نفسه، وتجاه المجتمع الذى يعيش فيه، فينبغى عليه أن يكون حريصاً على نشر الفضائل ومقاومة المنكر.

كما يجب على كل مسلم أن يدرك أهمية الوقوف عند معالم الحق والخير بحيث لا يميل ولا يحيد ولا ينحرف يميناً أو يسرة .

كما يجب عليه الوقوف فى مواجهة التيارات المادية الجارفة التى تشكلت بأشكال

(١) سورة العنكبوت ٤٥.

(٢) سورة الحج ٤١.

مختلفة وتَسَمَّت بأسماء متباينة متخذة بعض المذاهب الفاسدة وبعض النظريات الوافدة مذهباً وطريقاً، وفي هذا تضييع للقيم وحراب للإسلام فيجب الوقوف في وجه تلك التيارات من شيوعية وقاديانية وبهائية وغير ذلك من المذاهب الهدامة .

ومقاومة هذه التيارات الوافدة من أهم ركائز التمكين في الأرض لأنه باب واسع من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جعله الله سبحانه وتعالى من أهم دعائم خيرية هذه الأمة في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup>. ويقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» .

### رد بعض الشبهات

وقد أثار أعداء الإسلام وخصومه بعض الشبهات يحاولون أن يتهموا الإسلام بأنه مادي وبنقص الناحية الروحية فيه ، وهي بدون شك شبهة واهية لا أساس لها من الصحة فإن التشريع الإسلامي جاء وافياً بحاجات البدن والروح وبتنظيم الجانبين والاعتدال بينهما بلا إفراط أو تفريط، ومن المعلوم أن الإنسان يتكون من عنصرين أحدهما مادي والآخر روحي وقد توسط الإسلام بين الطرفين والتوسط هو الفضيلة المثلى وقد وجه القرآن الكريم جميع المسلمين إلى مراعاة مطالب الدنيا والآخرة فقال سبحانه وتعالى :- ﴿ قِيلَ لِّلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴾<sup>(٢٠٠)</sup> وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾<sup>(٢٠١)</sup> أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾<sup>(٢)</sup> ونهى القرآن عن تحريم الطيبات حفاظاً على جانب الاعتدال بين المادة والروح كما حرم الاعتداء ومجاوزة الحد في ذلك، بل

(١) سورة آل عمران ١١٠ .

(٢) سورة البقرة ٢٠٠ - ٢٠٢ .

على الإنسان أن يأكل ممارزقة الله من الحلال الطيب على أساس من التقوى والإيمان .

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> ويركز الإسلام بتوجيهه للمسلمين محذرا لهم أن تفرقهم الحياة الدنيا بماديتها ومباهجها وأن الأموال والأولاد فتنه وعند الله عظيم الأجر للمخلصين فقال سبحانه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا ءَمْرُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ ءَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾<sup>(٣)</sup> قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِحَيْرٍ مِّنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(٤)</sup>. وقد وضع الإسلام أهمية طلب الآخرة وضرورة العمل لها، فمن كانت الآخرة همه وعمل لها جمع الله له ما يريد وجعله غنى النفس غنيا بالإيمان وتأتيه الدنيا منقادة راغمة، وأما الذى ينكب على المادة يجمعها ويجعل الدنيا همه فإن الله يجعل الفقر بين عينيه، ومهما واصل التعب والكد فى سبيلها فإنه لا ينال منها إلا ما قدره الله سبحانه وتعالى.

عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له ومن كانت الآخرة همه جمع الله أمره وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى راغمة)). .. وحياة السلف حافلة بالايثار والبذل والتضحية والمعروف حتى وإن ترتب على ذلك بذل كل ما يمتلكون . نعم الإسلام دعا بالتوسط كما سبق .. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾<sup>(٥)</sup> .. ولكن سلفنا الصالح فى نظرتهم الإيمانية الفاحصة

(١) سورة المائدة ٨٧.

(٢) سورة الأنفال ٢٨.

(٣) سورة آل عمران ١٤ - ١٥.

(٤) سورة الإسراء ٢٩.

يدركون قيمة ميراث الأبناء من بعد .. وخطورة المادة حين يقوى جانبها ويشتد وحين يمسك الأبناء بها وينحرفون بسببها .

فمن الناس من يورث أبنائه أموالا طائلة وعقارات لا حصر لها ظناً منه أنه حين يفارق الحياة يفارقها وهو مطمئن عليهم من الفقر، ولو أنه ورث أبنائه ثروة الإيمان والعمل الصالح والقيم الروحية والتهديب الخلقى لكانوا أغنى بكثير وأعظم وأسعد من ميراث المال الذى ربما أفسدهم ومزقهم، ومن الناس من يورث أبنائه إيماناً صادقاً وعملاً صالحاً وسلوكاً قويمًا، ولم يترك لهم من المال شيئاً فإذا بثورة الإيمان والعمل الصالح تجعلهم أغنياء فى الدنيا وفى الآخرة . وها هو ذا نموذج من السلف الصالح إنه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، لقد قال له مسلمة بن عبد الله - رضي الله عنه عند مرض موته - يا عمر لقد تركت أولادك لاشيء عندهم فيصبحون فقراء وما كان هذا يقع منك يا عمر. فرد عليه قائلاً : والله ما منعتهم حقاً لهم، فَبَنِيَّ أَحَدُ رَجُلَيْنِ ... إما رجل يتقى الله فسيجعل الله له من كل ضيق مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب وإما رجل مكب على المعاصى فإنى لم أكن أقوى على معصية الله. إن الإسلام دعوة إلهية لسعادة البشر دنياً وآخرة وفى قوانينه الرشيدة أمان للنفس والمال والعرض، وفى ظل تعاليمه السمحة المضيئة تشرق حياة الناس بالخير والرشد والحق والسعادة والله هو الهادى إلى سواء السبيل.

□□□

## العمل فى ضوء القرآن الكريم

الإيمان والعمل .. هما الأساسان الأصيلان فى الإسلام والمتصفح لآيات القرآن الكريم التى تحدثت عن الإيمان يرى الحديث بعده مباشرة عن العمل فالإيمان بلا عمل لا أثر له والعمل بدون إيمان لا وزن له وخلاصة التوجيه الإسلامى تتركز فى الإيمان والعمل أو فى العقيدة السليمة والأعمال المستقيمة التى يتسم صاحبها بالاستقامة على الجادة .

عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال قلت لرسول الله ﷺ قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك؟ قال : «قل آمنتم بالله ثم استقم» رواه مسلم وقد صور القرآن الكريم وعد الله تبارك وتعالى الذى لا يتخلف وهذا الوعد يتركز بالفوز بجنت تجرى من تحتها الأنهار أنه فوز دائم بلا زوال لأولئك الذين جمعوا بين العقيدة السليمة والعمل الصالح وتلك هى القاعدة الصحيحة التى يترتب عليها الجزاء فى الآخرة لا كما يدعى البعض أنه بمجرد التمنى وفى الآيات توضيح وتبسيط لقضية الإيمان حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۗ ﴾ (١٢٣) لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٥﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٦﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٧﴾ ﴿١﴾

وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبى بكر بن أبى زهير قال : أخبرت أن أباً بكر رضى الله عنه قال : يا رسول الله كيف الفلاح بعد هذه الآية .. ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ﴿١﴾ فقال النبى صلوات الله وسلامه

(١) سورة النساء ١٢٢ - ١٢٦ .

(٢) سورة النساء ١٢٣ .

عليه : غفر الله لك يا أبا بكر ألسنت تمرض؟ ألسنت تنصب؟ ألسنت تحزن؟ ألسنت تصيبك اللأواء؟ إن الذى يعمل سوءاً يجزى بما عمل وليس من أحد يحفظ الإنسان أو يرد عنه العذاب أو يمنعه منه إلا الله وبعد أن وضح سبحانه وتعالى الجزاء على السيئات ذكر الجزاء على العمل الصالح موضحاً كرامته وإحسانه وقبول الأعمال الصالحة من العباد من الذكور والإناث بشرط الإيمان وأنهم بذلك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً وهو قدر نقرة النواة...

ثم وضح القرآن الكريم شرطين أساسيين لصحة العمل أولهما إخلاص العمل لله بإحسان الوجه لله وثانيهما أن يتبع فى كل ما يأتيه من أعمال ما شرعه الله سبحانه وتعالى :-

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾<sup>(١)</sup> ... ذلك باتباع الدين القيم والبعد عن غيره وهذا يقتضى من الإنسان المسلم استقامة السلوك وتطبيق العقيدة بالعمل ومقاومة كل موجات التحلل وكل تيارات الإلحاد والانحراف التى تطفو على سطح الحياة بين فترة وأخرى مشكلة بأشكال مختلفة ومتنوعة بقناع الحضارة تارة ومتسترة باسم الثقافة تارة أخرى... وتأكيذاً للترغيب فى اتباعه بين الله تعالى أن إبراهيم عليه السلام صفى الله خالص المحبة له وذلك بقوله :-

﴿ وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

وتختم الآيات الكريمة مطافها فى الحديث عن قضية الإيمان والعمل وعن قبول العمل والجزاء عليه ببيان أن الله له - وحده - ملك السموات والأرض يتصرف فيهما كيف يشاء لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه وأنه محيط بكل شىء لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ومتى وقفت النفس البشرية على هذه الحقيقة القرآنية فهى لا بد أن تعمل لإرضاء الخالق القادر المحيط بكل شىء.

(١) سورة النساء ١٢٥.

(٢) سورة النساء ١٢٥.

وفى ظل هذا العمل وفى جو هذه الطاعة التى ترتبت على الاعتقاد الصحيح المثمر فى هذا كله صلاح للمجتمع الإسلامى كله بِأَسْرِهِ فى سلوكه وفى سائر الأعمال والعلاقات :- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾<sup>(١)</sup> ... ولقد أكد القرآن حقيقة الجزاء على العمل فى مواضع عديدة موضحا أن لكل إنسان جزاء عمله إن خيرا فخييرا وإن شرا فشر.. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾<sup>(٢)</sup> وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ<sup>(٣)</sup> وحقيقة العمل تختلف من إنسان لآخر فبينما يكون إنسان على الجادة ويتبع الحق ويعمل له.. نرى آخر ليس على الجادة... أو يحاول أن يظهر كذلك، والاختلاف بين الاثنين واضح وجوهر الحقيقة الفاصلة إنما هو العمل لأنه التطبيق الفعلى الذى يميز بين السلوكين بل قد تختلف حقيقة العمل وقضيته لا بين إنسان وآخر بل بين الإنسان نفسه، فى بعض أوقاته وفى بعض أعماله فىكون فى بعض الأعمال محسنا للعمل مجيدا له.. وفى البعض الآخر ليس كذلك ولكنه يحاول تبرير موقفه وإقناع نفسه وانتحال الحيل والمبررات بأنه حسن العمل والسلوك.

ولكن الإسلام يجعل الدرجة الرفيعة فى الإحسان هى كما جاء فى الحديث: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»... وما دام يضع فى قلبه وفى ذاكرته وفى حسه أن الله مطلع عليه ويراه فلا بد أن يحسن العمل وأن يخلص الوجهة لله رب العالمين.



(١) سورة النساء ١٢٦ .

(٢) سورة الزلزلة ٧ - ٨ .

## الإسلام وتوثيق العلاقات

ومن أهم ما يميز المسلم قدرته على توثيق العلاقات الإنسانية والاجتماعية بينه وبين مجتمعه الذى يعيش فيه، وللعلاقات الطيبة النقية أثرها الكريم فى غرس المودة فى النفوس، وإشاعة الخير فى المحيط الإنسانى، وفى دائرة العلاقات، يظهر أثر الإنسان فى الغير، كما يظهر أثر الغير فى الإنسان ولهذا نجد الإسلام قد دعا إلى اختيار الأصدقاء، وتمييز الأصدقاء، ففيما رواه أبو داود يقول الرسول ﷺ: «فليُنظر أحدكم إلى من يخال»...

وللبينة تأثيرها فى سلوك الإنسان وعلاقاته ومعاملته، فإن كانت البيئة صالحة تزرعت فيها الصداقة وازدهر فى جوانبها العلاقات الطيبة، وكان لها أكبر الأثر فى إصلاح السلوك، وتقويم العوج وإرشاد الضال، ومساعدة المحتاج، وإعانة الضعيف، وإن كانت فاسدة فقد يمرض فيها الصحيح، ويضل فيها الصالح، ففى جوها الملبد، ومناخها الخانق لا تستطيع أن تتنفس الفضائل، وفى أرضها المجدبة لا تنمو العلاقات الكريمة إلا قليلاً... وكما رأينا من نفوس صالحة أفسدتها البيئة الضالة، ونفوس ضالة أصلحتها البيئة الرشيدة...

وللجليل الصالح والجليل السوء أثره البالغ على من يجالسه.. روى الإمام أحمد بسنده عن أبى موسى عن النبى ﷺ: «إنما مثل الجليل الصالح والجليل السوء كحامل المسك ونافخ الكير.. فحامل المسك إما أن يحذيك - أى يعطيك - وأما أن تبتاع منه، وإما أن تجد ريحا طيبة... ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة».

وللعلاقات السيئة نهايتها الأليمة، وعاقبتها الوخيمة، فهى تجر على صاحبها الويلات والخطوب وتجعله ينظر للحياة بمنظار قاتم، لا يبصر ما فى الحياة من معان إنسانية، وكأنه لا يرى المجتمع إلا من خلال تلك العلاقات الهابطة، والأسباب الرخيصة، فلا يخف للعمل بإخلاص، ولا يطمح إلى الآمال الناضرة التى تملأ الحياة بالجد والاجتهاد، وجانب الإخلاص فى علاقاته مع قرناء السوء مفقود وشخصيته مفتتة تذروها رياح الأهواء

ونزعات النفس الأمارة بالسوء... ومظهره غائم كمخبره، لا يستطيع الإنسان أن يصفه بسلوك معين أو أن يميزه بسمة واضحة، فهو غير مستقر في حياته، لأنه فقد أهم أسس الاستقرار والرشد... لقد فقد مقتضيات العقيدة الصحيحة التي تربطه بربه الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور والذي يعلم سرهم ونجواهم. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا مِنْهُمْ يَشْتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وإن موقف قرناء السوء في الآخرة، موقف العداوة بينهم، فيومها يشعرون بسوء علاقتهم ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد صور القرآن الكريم نهاية من أضله خليله، فتمسك بحبل الشيطان فندم حيث لا ينفع الندم وتحسر على علاقة السوء... ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا لَيْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد سلك الإسلام باتباعه سبيل التعاون في علاقتهم، وأرسى مبادئ الود والتواصل بين المسلمين، فشرع الهبة والهدية، جبرا للقلوب وغرسا لأسباب المحبة، والألفة بين الناس كما حث على قبول الهدية الخالصة النقية التي لا تشوبها شائبة، إذ أن لها أثرها في اقتلاع جذور الشر والكراهية وتنقية النفوس من المشاعر السيئة، وقد أعلن رسول الله ﷺ قبول الهدية مهما قلت، وإجابه دعوة من دعاة، روى البخارى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: («لو دُعيت إلى ذراع أو كراع لقبلت»)...

وكان عليه الصلاة والسلام يكافئ على الهدية لتظل أسباب المودة موصولة وليظل

(١) سورة المجادلة ٧.

(٢) سورة الزخرف ٦٧.

(٣) سورة الفرقان ٢٧ - ٢٩.

التواصل وتبادل المنافع والتعاون على البر والتقوى ، فكل ذلك من أهم ما ينعش العلاقات ولا سيما بين الجيران... وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : («يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاه»).

ومن أهم قوانين الإسلام فى تنقية العلاقات وابرار الشخصية الإسلامية فى صورتها الكريمة المخلصة والإصلاح بين الناس ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .. والعلاقات الإنسانية والاجتماعية متسعة الجوانب ، متشابكة الفروع ، إنها تشمل علاقات الأقارب والجيران والضيوف والغرباء وعلاقات أفراد المجتمع بكل دوائره ومؤسساته وعلاقات المجتمعات بعضها ببعض... وهكذا وفى ضبط سيرها وحسن اتصالها ما يظهر البيئة الإسلامية فى صورتها المشرقة ويضفى على شخصيتها المهابة والتقدير ، ومن حسن السمات ما يجعلها بيئة خصبة مترعة بالفضائل ، دفاقة بالحق والخير...

□□□

---

(١) سورة الحجرات ١٠.